

مقولة السوط المصفور للجاهل المغرور

لمؤلف مجهول

عني بها وعلّق عليها وقدم لها

عبد الإله نبهان

مقدمة التحقيق

□ عرض ونقد :

تعد مقولة السوط المصفور للجاهل المغرور ، من النصوص المضيئة التي نبتت في أواخر القرن التاسع عشر ، عندما كانت الدعوة الى العلم والصناعة والتقدم والتحرر في أوجها ، وليست المقولة في أبعادها القصوى ، سوى صرخة وطني غيور ، يبغى نفخ الروح وإيقاظ الموتى من سباتهم ، وتنبيه العقول من غفلتها وتغافلها . وقد ترك المؤلف لعواطفه وخواطره العنان ، فهو ساخط غاضب يوبخ ويؤنب ويقرّع ، ويدل قومه على الطريق التي ينبغي أن تسلك ، ويهاجم العلوم التي يراها سبب التأخر والتخلف .

ان هذه المرحلة التاريخية يمكن النظر إليها على أنها من المفاصل الرئيسية في تاريخ العرب المعاصر ، وفيها برزت وتجسدت معظم المشكلات والقضايا التي كان لها شأن كبير . أولى هذه القضايا : موقف العربي من الحضارة الغربية ، ماذا يأخذ وماذا يدع وكيف ؟ أيقصر على المنجزات المادية أم يفترق من الماديات والفلسفيات معاً ؟ وكيف يمكن له أن يحافظ على أصالته في هذا الخضم الزاخر ؟ والقضية الأخرى الهامة ، قضية التعارض المصطنع بين العلم والدين ، وهي مسألة أثارت كثيراً من الجدل ، وألفت حولها الفصول والرسائل والكتب وألقيت المحاضرات ، وامتد سلطانها الى صفحات التفاسير القرآنية التي ظهرت في هذه المرحلة التاريخية وما تلاها . والقضية كلها - اذا تركنا جزئياتها - لا تعدو أن تكون انعكاساً لموقفين : موقف بعض المتدينين الذين لم يفهموا جوهر الدين وأصوله ، فأخذوا يحاربون الحضارة والعلم باسم الدين . والموقف الثاني : موقف بعض المفرضين أو المضللين - بفتح اللام وكسر هاء مع التشديد - الذين أرادوا استغلال التقدم العلمي في أوربا ، ليحاربوا من خلاله الأديان ، فجعلوا يتصيدون بعض الآيات الكريمة ، أو

الأحكام ، ليعرضوها على أنها تنافي العلم والتقدم والحضارة، موهمين بذلك أنه لامناص لشعب يريد التقدم من أن يترك دينه وعلومه التقليدية المعروفة .

كلا الموقفين أثار ردود فعل مختلفة ، وسبب ملاسبات كثيرة ، وخلق مناهج جديدة في التفسير والتأويل .

ونص المقالة التي بين أيدينا مرآة صادقة تنعكس فيها هاتان القضيتان بكل أبعادهما، فالمؤلف يدعو مواطنيه ويحضهم على الاقبال على العلوم العصرية ، والتمتع بالمخترعات الحديثة ، ويلهب حماسهم بما يثيره فيهم من كوامن النخوة ، بتذكيرهم بأجدادهم وعلومهم وفنونهم ، ويثير مسألة الحضارة بالرد على بعض المتعنتين الذين لا يعترفون بفضل الحضارة الغربية ومخترعاتها الحديثة، وينسبون كل فضل لليونان ، فيرد عليهم بما معناه : اذا كنتم تزعمون ان هذه المخترعات موجودة في كتب اليونان - وكتب اليونان عندكم منذ القديم - فلماذا لم تسبقوا الغرب اليها ؟ ثم يقرّعهم بقوله : « والحال أن اللوم لا زال منصّباً عليهم ونسبة الجهل ما برحت منحاذاة اليهم » . ويبين المؤلف أن هذه الفئة قد تنسب الى الكفر من يصدّق بوجود بعض المخترعات العصرية ، وقد رد على هذه الفئة أقوالها بكلام نفيس نقله من كتاب « تهافت الفلاسفة » لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي .

ثم ضرب أمثالا من الحقائق الجغرافية التي لا تؤمن بها جماعة المتعنتين وتحاربها ، وأظهر استيائه من جهل هؤلاء القوم ، وعدم مبالاتهم بحقائق الأمور فيما يتعلق بمختلف العلوم ، ورد تعنتهم وجمودهم وحرصهم على الجهل الى أسباب نفسية شخصية ، لأنهم يحرسون على مكانتهم ويخشون أن يظهر جهلهم أمام علم الجيل الجديد ، فهم يحاربونه بالمكابرة والسخرية والانكار .

ثم شن الكاتب حرباً على الخرافات البالية التي يؤمن بها عوام الناس ومن يضللونهم، فهم لا يصدقون العلوم ببراهينها القوية وأدلتها اليقينية ، ولكنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ، كإيمانهم وتصديقهم لقصة الثور الذي يحمل الأرض ، والحوت الذي يحمل الثور ، ينسبون هذه الترهات الى مصادر عالية ليوهمو أنفسهم وغيرهم بصحة اعتقادهم وصدق ادعائهم . وقد بينت في تعليقاتي على النص مصادر هذه الأخبار ، مما يساعد على تمييز صحيحها من زائفها .

ثم حاول المؤلف أن يبين التطابق والتوافق بين الآيات الكونية وبين العلوم العصرية ، فسرد بعض تعليقات الشيخ أحمد محمد الألفي على بعض الآيات الكريمة مبرهنناً أنه لا تعارض بين العلم والدين . فما موقف أنصار الجهل من هذه البراهين ؟ انهم يقولون: ان هذا البحث حرام وانه يفسد العقيدة فلا ينبغي سماعه ؟ ! .

وهنا ينبري كاتبنا ويأتي بالآيات الكريمة التي تحث الانسان على التفكير ، وتدفعه الى طلب العلم ، ويبين أن هؤلاء الجاهلين غارقون في جمع الأموال ، يبددون أوقاتهم في تكرار أحاديثهم التي تعودوها ، فهم يرددونها لا يملون ، ويعيدونها فلا يسمون ، فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله : (سماعون للكذب أكّالون للسحت) .

ويورد الكاتب عددا من الشواهد الشعرية التي تحت على طلب العلوم العصرية ،
وتحارب العلوم التقليدية كالبديع والنحو والصرف ، ويهاجم الشعر بالشعر .

ثم ينتقل الى ناحية هامة وهي الاقرار بالعجز ، واظهار الدهشة العارمة أمام
انجازات الحضارة الأوروبية ، فعقولنا الضعيفة - كما يصور - لا تتصور عمل الكبريت
الملون ، فما بالناس بالمخترعات العظيمة « كالتلفون والوايبر والمكروسكوب وحافضة
الصوت » فهذه هي الأمور الكبرى التي لا نستطيع أمامها حراكاً . وتذكرني هذه
الدهشة والاعتراف بالعجز ، بموقف الجبرتي عندما شاهد بعض تجارب كيميائية أجراها
بعض ضباط الفرنسيين أيام حملتهم على مصر فقال بعد أن وصف تلك التجارب : ... ولهم
فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا (تاريخ الجبرتي
٣٧/٣) . وهذه الدهشة أمام منجزات الحضارة أمر طبيعي ومشروع ، على أن يتلوه
شعور بتماسك الشخصية ، وثقة بالنفس ، حتى لا تذوب شخصية الفرد والمجتمع وتضمحل
في غمرة دهشتها واعجابها .

ويهاجم المؤلف علوم العربية من نحو وصرف وبديع ، وكأنها هي العائق الذي يحول
دون الاقبال على العلوم العصرية ، كما أنه يهاجم ألعاب التسلية وقتل الوقت المعروفة
والمنتشرة في المقاهي .

ولما كان المؤلف ينمي على مواطنيه اهتمامهم بالشعر وما يتعلق به من بديع وبلاغة ،
فانه رأى أن يرسم خطة تربوية تعليمية مفادها أن لكل مرحلة من مراحل عمر الانسان علماً
يناسبها ، فالشعر من العشرين الى الثلاثين ، وبعده التاريخ ثم الهيئة ثم الجغرافية ...
الخ . على أنه يعود بعد ذلك ، فيقر بفضل الشعر اذا كان حسناً ، ويورد أرجوزة للشيخ
حسين الجسر تتضمن الحض على طلب العلوم ، ثم ينظم هونفسه قصيدة وعظية تدعو الى مكارم
الأخلاق . ويضرب بعد ذلك أمثلة من الشعر الرديء الذي لا ينبغي الاعتناء به حسب رأيه .

ولنا الآن أن نتساءل : أكان هجوم المؤلف على العلوم التقليدية منصفاً ؟ وهذه العلوم
التي هاجمها ، هل هي حقاً سبب التأخر والتخلف والجهل ؟ !

اذا نظرنا بعين الانصاف ، وجدنا أن هذه العلوم كانت علوم قوم لم يكن لهم غيرها
في وقتهم ، وما كان لهذه العلوم أن تعميق التقدم ، أو تقف في سبيله ، لو وجدت أسبابه
وتحققت دواعيه ، وتوفر له من ينهض بأعبائه ، ولو أن المؤلف كان منصفاً ومتجرداً عن
غضبه وانفعالاته ، لذكر أن الأوروبيين كانوا - وما زالوا - يعتنون بلغاتهم ونحوها وصرفها
وشعرها وبديعها وبلاغتها ، ويعقدون لها المؤتمرات ، ولا يبخلون على بحوثهم فيها بجهود
ولا مال ، ومع ذلك فانهم لا يرفعون عقيرتهم قائلين ان الاهتمام بالأدب واللغة يعيق التقدم
ويسبب التأخر ، فمن أين نبعت أفكار مؤلفنا ؟

للإجابة عن هذا السؤال رحت أقلب صفحات المجلد الثامن من مجلة المقتطف
الصادر سنة ١٨٨٣ ، لأنني أثناء تحقيقي للمقولة ، تبين أن المؤلف قد قرأ هذا المجلد
واقتبس منه ، ولم يخب ظني ، وأصابته الرمية المقتل ، فلنستمع الى « فارس نمر » ص

٥٨١ : (أيقنع علماءنا « بخرفشة النحاة » وعلماء الافرنج قد جابوا الأقطار ، وركبوا متن السحاب ، وطاردوا قوات الكون حتى أمسكوا بنواصي البرق ، وذلّلوا أعناق الصواعق ، فانقادت اليهم صاغرة ، وأصبح عاجزهم اذا نادى البروق مثلت بين يديه ، واذا أمر الصواعق أسرع تدك الأطوار ، وتنسف الصخور ، وتفتح الأسراب طوعاً لما يريد .)
 انها شنشنة أعرفها من أخزم ، وانها - وأيم الحق - انتقلت الى مؤلفنا فرددها معجباً بها ، دون أن يدرك انكسار القياس وانحسار مقومات البرهان في أمثال هذا الكلام الفج ، فكل علم له مقوماته وفوائده ، وليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، ولا نستطيع أن نحمل علماً من العلوم وزر التخلف والتأخر ، لأن التخلف يرتبط بطبيعة المجتمع وتكوينه الداخلي ووضعه الدولي .

وأسائل : لو أن أولئك الناس الذين كانوا يعنون بالبديع والصرف والبلاغة والنحو ، تركوا هذه العلوم ، ولم يتح لهم من يرسلهم في بعثات الى أوربا ، فهل سيتحقق التقدم بذلك ؟ !

يبدو لي أن غضب المؤلف على التخلف والجهل ، واستيائه من سماجة العاملين في حقل العلوم القديمة ، جعله يصب جام غضبه على علومهم ، وكأن هذه العلوم تتحمل أوزار انحطاط عقول ممارسيها ، فما وزر علم البديع اذا كان صاحبه مثلاً لا يقر بكروية الأرض ، أو كان يعادي العلوم الجديدة ؟ !

ان هذه المواقف الانفعالية ، التي ليست في جوهرها سوى ردود فعل تلقائية عفوية ، تمنح هذه المقولة قيمة أدبية وتاريخية وفكرية ، انها مرآة صادقة تصور لنا طبيعة تفكير أحد المتعلمين في أواخر القرن التاسع عشر ، وانها دعوة حارة للحاق بركب العلم والحضارة . ولكن كيف يتم ذلك ؟ أيتم التقدم بالصراخ والعيول والشتم وتعداد مخترعات الأوربيين ؟ ! ان مقالات « فارس نمر » في المجلد الثامن من المقتطف - وقد قرأها مؤلفنا بلا ريب - تدور حول الاصلاح الزراعي والصناعي والعلمي والأدبي ، فكيف كان الرجل يتصور الاصلاح ؟ انه لم يكن عنده أي تصور لتنفيذ أي اصلاح ، وكل ما في مقالاته تعداد واحصاء لما أنجزه الأوربيون في ميادين الحياة ، ثم شتم للنحاة والصرفيين والبلاغيين وعلومهم لأنهم هم سبب التخلف ؟ ! ولتهدأ الآن روح « فارس نمر » لقد ذوت علوم النحاة وانحسرت ، وجف عود الصرف وذبل ، وتأود عمود البلاغة وانكسر ، وانسحقت حلي البديع وعادت هشيماً تذروه الرياح ، ومع كل هذا ما زلنا نلهث في المؤخرة ، هذا اذا أحسننا الظن بأنفسنا .

على أن مؤلفنا يعود بعد تقريره وانتقاده ليذكر العرب بحضارة أجدادهم ، وينقل صفحات كاملة من كتاب أقوم المسالك للمصلح الكبير « خير الدين باشا التونسي » ، كما ينقل من مجلة المقتطف أقوالاً تمثل اهتمام الأجانب بعلوم العرب وصناعاتهم وتقديرهم لحضارتهم العظيمة .

ويأتي المؤلف بشواهد شعرية تدعم رأيه ، وهي ركيكة الأسلوب ، وتعد شواهد نموذجية لاستمرار ركافة عصر الانحدار والعصر العثماني في القرن التاسع عشر .

ومن الغريب أن المؤلف الذي كان يدعو مواطنيه في أول مقولته الى الاعتراف بفضل الغربيين ، والى الاستفادة من علومهم ومخترعاتهم ، هذا المؤلف نفسه يورد قصيدة في آخر المقولة ، هي غاية في السخف والركاكة والرقاعة ، فقد حشيت بالفخر الأجوف ، والشتائم العامية المبتذلة الموجهة الى الغربيين ، ثم يعتذر المؤلف عما أورده من الشعر ، بأن الشاعر كان متحمساً . فلم أوردها اذن ؟ ! انه في أعماقه يكره الغرب ، وينقم على قومه نقمة مبعثها الحب والحرص على مصلحتهم ، وهو مشئت النفس ، حائر الوجدان ، بين ماضٍ عريق وحاضر باهت ، وهذا ما جعله يحجل ويضطرب ، انه كالغريق يريد أن يتشبث بما تصل اليه يده ، ولو كان طحلباً أو نسيج عنكبوت . ان الفارق شديد بين أول المقولة بمافيه من اتزان وتفهم وحرص على العلم والانصاف ، وبين تلك القصيدة التي اختتمت بها وما فيها من ركاكة ورقاعة .

على كل حال يبقى نص هذه المقولة من النصوص التي تهتم دارسي هذا العصر من نواحيه جميعاً ، اللغوية والحضارية والعلمية والتاريخية والاجتماعية ، وسواء أصحت افتراضاتي التالية فيما يتعلق بالمؤلف ومكان التأليف أم لم تصح فان النص يبقى محتفظاً بقيمته ودلالاته المتنوعة . فمن هو مؤلف المقولة ؟

المخطوط ومؤلفه :

منذ عامين على وجه التقريب لا التحديد وضع صديقي الفاضل المفضل الأستاذ رفيق حمدان بين يدي مخطوطين صغيرين (قياس ٢١ × ١٤) يقع أولهما في ثلاث وخمسين صفحة ، وعنوانه : « مقولة كشف اللثام عن أحوال دمشق الشام » والثاني له مواصفات الأول نفسها ، وعدد صفحاته سبع وأربعون صفحة كتبت بخط نسخي مقروء ، وفي الصفحة ثلاثة عشر سطراً ، وعنوانه « مقولة السوط المضفور للجاهل المغرور » وقد أثبت تاريخ النسخ في نهاية كل من المخطوطين سنة ١٣١١ هـ ، ولكن لم يذكر اسم المؤلف ، وكل ما وجدته من ذلك عبارة كتبت في آخر مقولة كشف اللثام : (تمت على يد كاتبه الحاج خرشد المسائل) ورسمت الخاء مشابهة للميم ، وجبر العبارة وخطها مغاير للأصل ورحت أحاول البحث عن المؤلف محاولاً الاستفادة من كل القرائن الموجودة ، فمؤلف « مقولة كشف اللثام عن أحوال دمشق الشام » حلبي " لاشك في ذلك ، لأن مقولته ليست أكثر من هجوم صاعق - ولكنه طريف - على أهل دمشق وعاداتهم تعصباً منه لحلب ، خطر لي أن يكون لهذه المقولة ذكر في اعلام النبلاء للطبّاخ ففتشته فلم أعثر على شيء ، وقد خطر لي أيضاً أن يكون مالك النسخة هو مؤلفها ، فقد خُطّ على الورقة الأولى من كشف اللثام ما يلي : « ملكه الفقير اليه تعالى محمد ناجي الكردي خادم أموي حلب عفي عنه ٢٧ ح سنة ١٣١١ » ولكنني لم أرض عن هذا الافتراض بعد أن عرفت من أحد أقرباء السيد محمد ناجي الكردي أن الرجل لم يكن يكتب ويؤلف ، وإنما كان تاجر كتب وكان له ولع بجمع الصحف والمجلات .

أما مقولة السوط المصفور فليس فيها أية إشارة الى المؤلف ، ولكنني رجحت أن يكون مؤلف المقولتين واحداً بسبب تشابه الخاتمة في كل منهما ، فمقولة كشف اللثام ختمت بما يلي : « وأرجو ممن نظر في هذه المقولة أن يفض الطرف عما وقع فيها من الخطأ ، ويسمح لي عن اللحن والركاكة اذ لا قدرة لي أن أنمق الكلام معرباً ومحسناً بأنواع البديع والبلاغة ، والمنصف من يقبل العذر ، ويغفر الزلات ، وصلى الله على من لا ينطق عن الهوى وآله وصحبه وأهل بيته وسلم تسليماً كثيراً آمين تمت ح ١٥ ر ١٣١١ » .

واختتمت مقولة السوط المصفور بما يلي : « وأرجو ممن اطلع على هذه المقولة المشوشة المبني ، أن ينظر اليها بعين الانصاف من حيث المعنى ، ولا يطلب مني ، تنميق العبارة ، ولا الجمل المزيينات بالتورية والاستعارة ، فاني قليل البضاعة في هذه الصناعة ، فالمفلس معذور ، والكريم غفور ، وصلى الله على سيد خلقه ، ومن فاق الجميع بخلقه وخلقه ، ورضي عن آله وصحبه وأهله وحزبه آمين . حرره في ح سنة ١٣١١ » فالمقولتان حررتا في ح (أي : حلب على ما يبدو) في سنة واحدة وكتبتا بخط واحد ، وجلدتا بلون واحد وتنتهي كل منهما بخاتمة تشبه الأخرى ، كل هذا أوحى اليّ أن تكونا لمؤلف واحد .

وانطوت الأيام ، والمقولتان عندي طي النسيان والاهمال ، ثم قدر لي العثور بين أوراق قديمة على مخطوط صغير يقع في أربع وسبعين صفحة (قياس ١٦ × ١٢) عنوانه : « ساحة أدب من ساحة حلب » لمحررها خورشيد أفندي الكردي ، وقد أرخ نسخها في حمص ١٣٢١ هـ ، ولم يذكر اسم الناسخ وأظنه الشيخ أحمد نبهان ، وكانت خاتمة السانحة كما يلي : « فالأماول من الأفاضل ، غض الطرف عن الخلل ، وحبذا ان صح لي من فضلهم هذا الأمل ، خصوصاً عن بعض ألفاظ جاءت عامية ، وبعض ألفاظ مخالفة للأساليب العربية ، هكذا اقتضى الحال ، فان لكل مقام مقال [كذا] ، ولعل دقيق وضعها يشفع في ركيك لفظها وفساد سجعها ، فانه لما كان جل قصدي ابداء النصيحة ، لم أر حاجة لتقصي الألفاظ الفصيحة ... الخ » .

فهذا الأسلوب في الخواتم ، يوحى اليّ أن مؤلف هذه المقولات كاتب واحد ، وخاصة أن بعض الأبيات التي وردت في السوط المصفور ، وردت أيضاً في ساحة أدب ، زد على ذلك أن الأفكار في المقولتين واحدة ، فتعظيم الصناعة والازراء بالشعر والأدب والبديع واحد في المقولتين في كليهما ، فهو يقول مثلاً في ساحة أدب : « واني - والله - لأرى مخترع الابرة بالثناء أجدر من ابن المعتز الذي فاق أقرانه ببديعه وتصدر ، لأن تلك ضرورة الوجود في جميع الأقطار ، وهذه عديمة النفع عند أولي الأبصار ، فما قولك في مخترع آلة الطبع هل يقاس به مستنبط النظم والسجع ... الخ »

فاذا صح لنا استناداً الى ما ورد من أدلة وقرائن أن نفترض أن مؤلف هذه المقولات هو شخص واحد وأنه هو خورشيد أفندي الكردي ، فمن هو خورشيد أفندي الكردي ؟

لقد حاولت التنقيب في بطون الكتب بقدر استطاعتي فلم أحظ بطائل ، سألت بعض الشيوخ من أهل العلم فلم تسعفهم الذاكرة بشيء ذي بال • وشاءت المصادفة أن أقرأ ترجمة موجزة للسيد عبدالرحمن الكواكبي في معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة ، فوجدته يذكر أن السيد الكواكبي درس العلوم العصرية على خورشيد أفندي من أدباء الترك ، وذكر الأستاذ سامي الكيالي مثل هذا في كتابه « الأدب المعاصر في سورية » وأشار الطباخ الى أن السيد الكواكبي تلقى الفارسية والتركية على يد أديب في اللغتين ولم يذكر اسمه ، فهل يكون خورشيد أفندي الكردي هو نفسه خورشيد أفندي أستاذ الكواكبي ؟ ! وهل نستطيع أن نربط بين كون خورشيد أفندي مدرّسًا للعلوم العصرية وبين هذه المقولات ؟ ! ربما (*) . الا أن الأمر أولا وأخيراً يبقى في نطاق الاحتمال والظن والتخمين • وحسبنا أن نضع هذا النص بين أيدي السادة الباحثين ليأخذ مكانه بين نصوص عصر النهضة ، ولعل أحداً من أهل العلم يهتدي بما تتيحه له علاقاته ومصادره الى كثير مما غاب عنا علمه وجانبنا فيه الصواب ، وفوق كل ذي علم عليم •

★ ★ ★

مَقُولَةُ السُّوْطِ الْمَضْفُورِ لِلْجِإِلِ الْمَغْرُورِ عَفَى اللَّهُ عَنْ مُؤَلِّفِهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموصوف بالقديم ، ، باريء المبروءات (١) من العدم ، مكوّن الأكوان ومدبّرّها ، ومقدر الأمور ومدبرها ، خلق الانسان وفضّله على سائر الحيوان ، وأمره بالتبصر في بدائع مخلوقاته ، والتدبر في روائع مصنوعاته ، فاطّلع بمشيئته على بعض حكمته العظيمة الاحكام ، المنسكبة في قالب الاتقان والانتظام • والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الى الصواب ، الناطق بالحكمة وفصل الخطاب ، الذي أنزل عليه في محكم الكتاب : (أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٢) وعلى آله وأصحابه أهل الحميّة والدين ، القاطعين بسيوفهم رقاب العصاة الضالين المضلين ما سطعت شمس اليقين ، فأزالت بأنوارها غياهب غرور المفتريين • وبعده فيقول الفقير اليه تعالى مؤلف هذه المقولة - غفر الله له وللمسلمين آمين : [ص ٢] •

★ توفي الكواكبي سنة ١٣٢٠ هـ والمخطوطة كتبت سنة ١٣١١ هـ • ويبدو أن يكون مؤلفها أستاذاً للكواكبي •
(المجلة)

ان من أعظم ما يوجب الأسف ، ويقضي بالحزن ، على من لم تزل تحركه الحمية الانسانية ، هو النظر فيما آل اليه حال وطننا من توارى شمس العلوم والمعارف عن أهله ، بعد أن كانوا في درجة من الفضل والتقدم معلومة مشهورة . ولا زال الأمر معهم بالتقهقر الى أن وقعوا في وهدة عميقة من الجهل المحض ، فسأت بذلك أخلاقهم ، وفسدت آدابهم ، وضاق معاشهم ، وأغلقت دونهم أبواب النجاح .

وكثيراً ما كانت تحركني المحبة الوطنية ، وتحثني على ذكر كليمات تعرب عن بعض تلك الأحوال التي اعترتهم وطمست معالم مجدهم ، وعادت عليهم بالوبال وسوء المنقلب . وتذكرهم بما كان لسلفهم من العلوم وغرائب الفنون ، عسى تشبّ في أجسامهم نيران الجد والاجتهاد تلافياً لما فات وهيات . فشرعت بما كنت أنويه والله عالم بما أيديه وأخفيه فقلت : أن كثيراً من خواص أهل بلادنا - فضلاً عن عوامها - ، إذا سمعوا ما للفرنجة من البراعة في الصناعة ، والسعة في العلوم والاكتشافات [٣] الجديدة - العلمية والعملية - أنكروا ذلك عليهم واستعظموا سماعه ، وما ذلك الا لأنه يكون سبباً لظهور جهلهم . وقصورهم في الهمة فدفعاً لهذا المحذور ، وتخلصاً من نسبتهم الى الجهل ، ترى اذا قيل لأحدهم : « ان الافرنج قد اخترعوا - مثلاً - قُبّة من القماش تحمل اناساً وتطير بهم في طبقات الجو (٣) ، فيسيرون بها لأي جهة شاؤوها (٤) » يبادر حالا بقوله : انها مأخوذة من كتب اليونان ، فانها كانت مستعملة عندهم ،

كما أخذوا عنهم التلغراف (٥) والوابور (٦) والتلفون (٧) ، مع أنهم يعلمون بأنهم يكذبون في دعواهم . والسبب الذي يحملهم على أن ينفوا أصل الاختراع عن الافرنج المسيحيين ، ويشتبوه لليونان مع أنهم كانوا وثنيين ، هو ايهامهم (٨) بأن اليونان أمة خصها الله بالمعارف وأنزل الحكمة عليها دون غيرها ، وبذلك يكون غيرها من الأمم غير ملوم اذا لم يكن عنده علوم مثلها ، وبهذا الايهام يزعمون أنهم دفعوا الملام عن أنفسهم ، والتمسوا عذراً لجهلهم وعدم قدرتهم على الاختراع واكتشاف شيء ، والحال أن اللوم لازال منصباً عليهم [٤] ونسبة الجهل ما برحت متحازة اليهم ، اذ لوسلما بدعواهم الكاذبة أن الافرنج استنبطوها من كتب اليونان فلم لا يقدرّون أن يجاروهم في الأخذ منها - كما زعموا - ؟ مع أن كتب المذكورين ترجمت الى العربية ولم يكن الافرنج حينئذ يعرفون القراءة ولا الكتابة ولكن

(من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة) (٩)

فهذا حال أهل بلادنا فيما ينسب للفرنجة من الاختراعات المحسوسة ، حتى انهم لربما أجروا هذه المكابرة في المخترعات التي ينتفعون باستعمالها كل يوم ، ويتزينون بغالب أنواعها . فما بالك في انكارهم ومكابرتهم في الاكتشافات العلمية التي تنسب للفرنجة مما ليس يمكنهم أن يشاهدوها عياناً ، فانهم لا يعتقدون ولا يصدقون بها أصلاً ، ولربما ألقوا من قال بها أو ذكرها في الكفر . نعوذ بالله من جهلهم مع أن الدين ربما كان مشيراً إليها ، أو لم يتعرض لها بشيء من الانكار كما قال الامام الغزالي (١٠) قدس سره العزيز في كتابه المسمى « تهافت الفلاسفة » ما نصه : « ليعلم أن الخلاف بينهم - أي الفلاسفة [٥] وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

الأول (١١) : يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد ، كتسميتهم صانع العالم (١٢) جوهر أ ، مع تفسير (١٣) الجوهر بأنه الموجود في لاموضوع ، أي : القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم (١٤) .

والثاني : (١٥) ما لا يصد مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء (١٦) منازعتهم فيه كقولهم : ان خسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس . والأرض كرة والسماء محيطية (١٧) بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس . وكقولهم : ان خسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة . وهذا المعنى (١٨) أيضاً لسنا نخوض في ابطاله ، اذ لا يتعلق به غرض ، ومن ظن أن المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا تبقى معها ريبة . فمن يطلع عليها ويحقق (١٩) أدلتها ويخبر [٦] بسببها عن وقت الكونين (٢٠) وقدرهما ، ومدة بقائهما الى الانجلاء ، اذ قيل له : هذا (٢١) على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يستريب في الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يظعن فيه بطريقه . وهو كما قيل : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » انتهى كلام الغزالي (٢٢) . فعلى ذلك اذا قلت لهم حسب ما قرره العلماء الأرباويون وأثبتته الأدلة القويمة القاطعة : ان الهواء المحيط بالكرة ارضية يعادل ثقله ثقل بحر من الزئبق مكتنف للكرة على عمق ثلاثين قيراطاً (٢٣) ، فتراهم حالاً يبادرون بالانكار ، ويقولون على سبيل الاستهزاء : بأي ميزان وزنوه ؟ وبأي مكيال كآلوه ؟ فهذا لا يسلم به عقولنا فلا نصدقه أبداً . ويعددون من الألفاظ التي يستعملونها في أحوال الانكار والسخرية ليجعلوها (٢٤) كالدليل لانكارهم كقولهم : هذه سفسطة أو خرافة أو بدعة ، ويضحكون ويتغامزون ، واذا أردت أن تثبت لهم ذلك ، فضلاً عن أنهم لا يسمعون ليس لهم أذهان تقبل الدليل ، لعدم تمرينهم على [٧] سماع الحقائق من الناصح ، بل هم متمرنون على الاستهزاء والانكار والسخرية . والحال أنهم لو سمعوا ووعوا لأظهر الدليل صدق ما جعلوه مستحيلاً بعقولهم الغليظة ، ولتذكروا أن الافرنج لو لم يكونوا يعلمون مثل ذلك لما قدروا على مد السكك الحديدية ، لأن مد قضبان الحديد متوقف على معرفة الارتفاع والانخفاض في سطح الأرض (٢٥) ، وهو متوقف على معرفة وزن الهواء (٢٦) ، فلو كان ذلك مجهولاً عندهم لفاتهم عمل السكة المذكورة . وكذلك عمل طلمبة (٢٧) الماء ، التي ترفع الماء من الجب الى سطح الأرض ، ما لم يكن عمقه أكثر من خمسة عشر ذراعاً ، والا فلا يكون ضغط الهواء كافياً لرفع الماء (٢٨) ، لأن قيراطاً مكعباً من الزئبق يعادل في الثقل قدماً مكعباً من الماء فتنبه . فقل لي - أصلحك الله - ما فائدة قولهم : ان عقولنا لا تقبل هذا ؟ ! فكأنهم يظنون أن عظام الأمور متوقف وجودها على قبول عقولهم السخيفة لها !! أو كان الافرنج مفتقرون لرواج مخترعاتهم الى شهادتهم لها !! كلا ، ألم يعلم أهل تلك العقول [٨] الناقصة أن القوم غير مبالين بانكارهم ، وليسوا مكترئين باقرارهم ، وهم كل يوم في اختراع جديد واكتشاف غريب وترق عجيب ، وبذلك تحسنت أحوالهم ، وقويت نفوسهم ، وتجملت

بلادهم ، وطابت معاشهم ، وقهروا معانديهم ، واستحوذوا على أموالهم . فسبحان من يختار من شاء من خلقه لكشف أسرار حكمته . فما كان أجدر بهؤلاء المغفلين بدلا عن الإنكار أن يطلبوا دليلا على ما قيل لهم وحقيقة ما ذكر لديهم ، ويسعوا بجدهم - ان كان لهم جد - الى معرفة ذلك أو تقليده على الأقل ، بل على الأقل الأقل أن يعرفوا وجهه من الامكان لئلا يخسوا أحدا حقه كما هو شأن أولي العقل والحزم ، فان جميع هذه البضائع والاكتشافات لها قواعد علمية وأدلة يقينية يمكن لكل انسان بالتأمل والاشتغال أن يتعلمها ويتصور نتائجها بوضوح تام .

والذي يدلنا على شرف تلك العلوم وحلها دلالة يقبلها الفكر السليم ، هو أنه يوجد الآن عدد كثير من الآلات [٩] والاختراعات التي صنعتها الافرنج وجعلتها وسائل ومقاصد لعلوم وفنون عديدة في المكاتب السلطانية ، كالألات المتعلقة بالهندسة وفن الكيمياء والكهربائية والفلك وغير ذلك مما يساوي قيمته ألوفاً من الليرات ، وقد أنشأ جلالة مولانا المعظم المكاتب الابتدائية في جميع ممالكه المحروسة اهتماماً بشأنها ، وربط الرواتب للمعلمين وللأولاد الفقراء الذين هم غير قادرين على صرف أوقاتهم بدون معاش يكتسبونه بكدهم ، وقد أنفق على ذلك المبالغ الباهظة ولا يزال منفقاً ، وزد على ذلك مصاريف الشبان من رؤساء عساكره المنصورة الذين يرسلهم الى عواصم أوربا ليتلقوا من مدارسها تلك العلوم ، فيرجعوا يبثوها (٢٩) في ممالكه المحروسة . فهل جميع ما يفعله سيدنا ومولانا أمير المؤمنين من هذه الأمور هو عبث على حسب زعمهم الفاسد ؟ أو يقصد أن يغش رعيته بذلك ؟ معاذ الله أن يكون ذلك منه وهو أحرص الناس على ترقى رعاياه وانقاذهم من ظلمات [١٠] الجهل مع مراعاة (٣٠) الشرع الشريف . فلو لم يتحقق نفع هذه العلوم مادياً وأدبياً لما فعله أصلاً وأمر بتعليمه ، لأن جلالتة لا يقدم على أمر ما لم يوافق الشرع بموجب فتوى من المشيخة الاسلامية . ولكن أبت معاشر الجهلاء الا المكابرة ، ولو بالمحسوس ، مخافة من أن يكونوا يوماً في أحد المجالس ويسألهم أحد الأولاد الناشئين في المكاتب الشاهانية بعض الأسئلة العلمية التي لا يقدرّون على الاجابة عنها . كما لو سألهم عن سبب الكسوف أو الزلزال أو وميض البرق أو قعقة الرعد ونحو ذلك ، فانهم ان لم يجيبوا أصلاً ظهر جهلهم لدى من يوهّمونه بأنهم على شيء من العلم . وان أجابوا بما عندهم من التعاليل الباردة كنسبة الكسوف لوقوع الشمس من العجلة ، والزلزال لتحرك الثور الذي يحمل الأرض (٣١) ووميض البرق للمعان السوط الذي بيد الملك يسوق به السحاب ، والرعد لصوت زجره للسحاب ، صاروا سخرية بين القوم بعد وضوح [١١] تعاليل ذلك ومعرفتها أتم المعرفة لدى أغلب الأولاد المكتبلية (٣٢) فضلا عن مشاهير الناس من علماء العصر الجديد ، ورفض تلك الخرافات . وما أحسن ما قاله العالم الفاضل حسن أفندي الطويراني (٣٣) : « ولو أردنا أن نصدق كل حديث يروى لنا لروينا الأعاجيب فقد ورد أن الله خلق آدم على صورة الرحمن (٣٤) . وورد : رأيت ربي في صورة شاب أمرد (٣٥) ، وورد أن الله ينزل في ثلث الأخير كل ليلة الى السماء الدنيا فينادي كذا وكذا (٣٦) ، وأن النيل والفرات وسيحون ويجيحون تنزل من الجنة (٣٧) ، وأن الأرض طولها خمسمائة عام وعرضها وسمكها وما بين كل أرض الى أخرى كذلك والسموات أيضاً (٣٨) . وأن أول طعام

المؤمنين يوم القيامة كبد الحوت الذي يحمل الدنيا (٣٩) ، وأن السموات بعضها من حديد وبعضها من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد وأن لها أبواباً ومفاتيح وغير هذا مما لا ينتهي من جريان الشمس على العجلة وجر الملائكة لها في بحر الفلك . وهكذا من الأمور التي برآ الله [١٢] منها رسوله ولكن ادّعاها المدّعون وكتبوها ونسبوها الى مصادر عالية بالطبع حتى يمكن أن يجبروا الناس على تصديقها لعلو السند وشرف المقام ، ولكن كل ذلك ليس ببرهان مقبول » (٤٠) انتهى كلام حسن أفندي الطويراني . وقد ثبت كثير من أقوال الحكماء المتأخرين ما وافق آي القرآن ، وقد صرح بذلك العالم الفاضل الشيخ أحمد محمد الألفي (٤١) في جريدة الاسلام فقال : « قد ورد في القرآن المجيد ما يثبت تكور الأرض ودورانها طبقاً لما اكتشفه المكتشفون قال تعالى : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً) (٤٢) أي يغلف بعضهما بعضاً بسبب تكور الأرض ودورانها . وقال تعالى : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) (٤٣) الى قوله تعالى : (ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٤٤) ، فانه لا يتعين عدم السبق الا بالتوالي والامكان لذلك الا بالتكور والدوران . وقوله : (وكل في فلك يسبحون) بالجمع في الموضعين ، يفيد أن الأرض والشمس [١٣] والقمر يسبحون في فلك ، اذ لو كان المراد الشمس والقمر فقط لقال : وكلاهما في فلك يسبحان بالتثنية في الموضعين . وقال تعالى : (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها) (٤٥) فانه جعل النهار الذي هو مقابله وجه ارض للشمس مجلياً لها ، والليل الذي هو الظلمة الأصلية للأرض مغشياً لها . وأسند فاعلية ذلك لفاعل آخر غير الشمس والقمر وهو الليل والنهار اللذان هما من آثار الأرض وغير ذلك من الآيات .

واذا كان هذا معلوماً ، فما يدل من الآيات الأخر على انبساط الأرض وطلوع الشمس وغروبها يمكن تأويله باعتبار الأبصار والعرف الجاري ، وليس في قوله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها) (٤٦) ما يفيد أنها تدور حول ارض بل يمكن - والله أعلم - أن يقال : انها تجري لمستودعها ، أي : تدور حول نفسها ، فقد علمت أنه ليس في أصول الشرع ما يخالف الاكتشاف القطعي بل ولا الظني ، لكن لما كان البحث عن أصل التكوين ليس مقصوداً [١٤] للشرع ، وهو من وظائف العلماء الباحثين - كما تقدم - فلا تؤول (٤٧) النصوص الشرعية التي أساسها اليقين بما لا يطابق ما اكتشفوه بالدليل العقلي القطعي ، وأما الظني فلا » انتهى كلام الفاضل الشيخ أحمد محمد الألفي .

وأقول : ان أوضح وأصرح من هذا كله قوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) (٤٨) فانه من تأمل هذه الآية الكريمة حق التأمل ونظر فيها بعين بصيرته وجدها ناطقة نطقاً جلياً عن حركة الأرض ودورانها . والقول بأن هذا يكون عند قيام الساعة مدفوع من وجوه :

الأول : أن « ترى » فعل مضارع وهو حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال واذا تعارض المجاز والحقيقة قدمت الحقيقة كما هو مقرر في الأصول (٤٩) .

الثاني : قوله : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (٥٠) فان ذلك لا يناسب أحوال الساعة التي تدك الأرض دكاً وتنسف الجبال نسفاً حتى تتركها كالمهن المنفوش ، فان تلك الحالة حالة اخراب واعدام لا حال صنع [١٥] واتقان .

الثالث : أن الأليق بالعجيب من صنع الله أن يكون بالأمر الحالي المشاهد لا بالأمر الغائب المستقبل . وكيف التوفيق بين قوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب) (٥١) وبين قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) (٥٢) فان الآية الأولى تخبر عن حركة لا يشعر بها ، والثانية عن حركة تذهل الأمهات عن أولادهن فتنبه .

وقد تمسك قوم بسطاء بقوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحّاها) (٥٣) فجعلوها دليلاً على بساطة الأرض تأويلاً منهم للدحو بالسط وهو لعمرى دليل واه لأن الدحو معناه الالتقاء والوضع (٥٤) . ويؤيد ذلك قوله تعالى : (والأرض وضعها للأنام) (٥٥) وقال الشنفرى (٥٦) من اللامية (٥٧) .

وأعدل منحوضاً ، كان فصوصه كعاب دحّاها لاعب فهي مثل (٥٨)

أي : ألقاها وطرحها . وحسبنا دليلاً على ما ذكرناه في المقابلة [١٦] الواقعة في الآية الكريمة أعني قوله تعالى : (أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسوّاها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحّاها) (٥٩) فانه قابل الرفع بالدحو وهو في معرض الامتنان على العباد بأنه خلق لهم مقررّاً يقرون عليه لا في بيان أنها بسيطة ، على أن بساطتها ليست أعظم من كريتها حتى يذكر في معرض الشدة والعظم .

رجعاً الى ذكر أولئك البلهاء فانه لا يسعهم حينئذ الا أن يقولوا : هذا البحث حرام وانه يفسد العقيدة فلا ينبغي سماعه .

فليت شعري ما الذي تفعله هذه الأبحاث من الخلل في الديانة ؟ ! ومن حرم البحث فيها؟ مع أنه تعالى أمرنا بالتفكر في ملكوت السموات والأرض والتدبر في بديع صنعه قال تعالى : (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً [١٧] وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) (٦٠) ، روي أنه لما نزلت هذه الآية الكريمة قال عليه الصلاة والسلام : (ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها) (٦١) وقال تعالى : (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى) (٦٢) وقال تعالى في معرض التوبيخ للجهلاء : (وكأين من آية في السموات وأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (٦٣) فكيف يلام من تفكر في ملكوت السموات والأرض ، وعلم الوسائط والأسباب التي أقامها الحق سبحانه وتعالى وجعلها مترتبة على بعضها بحكمة وانتظام في خليقته وبذلك يزداد يقيناً وإيماناً ، ويدرك ما لا يدركه الجاهل أصلاً ، بل الجاهل بذلك لا يعلم قدرة الله وسعة ملكه ودقائق حكمته الا تقليداً ، والمقلد اليوم مصدّق وغداً مكذّب . ولكن ليعلم هؤلاء البلهاء [١٨] السخيفو العقول أن هذه المحاولة والتجمل لا يدفعان عنهم الجهل ، ولا يرفعان منهم القدر ، فلا بد من أن يأتي الزمن الذي لم يُبق لهم حيثية أصلاً ، حيث يقتضي الأمر بأن يكون نحوهم في مثل الأولاد المكتبلية المهذبين كشجرة العليق فلا يقر للبستاني قرار

ما لم يقطعها ويخلص أشجار بستانه النافعة من شرها . نعم انهم بارعون في جمع الأموال من أي باب كان من غير مبالاة في حلال أو حرام ، وحديثهم العلمي هو الشعر الكذب ، كما يقال بينهم : أعذبه أكذبه (٦٤) فلو سمعوا مثلاً أحداً ينشد قول الشاعر : (من الكامل)

أو في السماء تكون قوة بأسه من الروع يوم البعث لم تنفطر

لرأيتهم يهيمون طرباً ويصيحون : الله الله ، ويهزون أدمغتهم تعجباً واستعداداً لهذا الكذب المزوج بما يشبه الكفر ، وربما طلبوا اعادته مراراً ليلذوا به أسماعهم ، فهم بذلك كما وصفهم [١٩] ربنا تعالى بقوله : (سمّاعون للكذب أكّالون للسحت) (٦٥) والله در القائل فيهم : (من الكامل) .

من رمت منهم أن تبث بعقله نور الحقيقة قال : هذا أحق وتراه ان حدثته بخرافة يهتز من طرب لها ويصفق

وسبب هذا الطيش والخفة والوقاحة فيهم هو أنهم لم يحصلوا مدة حياتهم سوى هذه الأمور السافلة ، وأما العلوم العالية فبعيدة عن أفكارهم القاصرة ، فإذا لم يسألوا أنفسهم بتلك الخرافات ويروجوها بوقاحتهم وتمويههم ملثوا حياتهم وساء عيشهم . على أن علومهم وان زعموا نفعها لم تنفعهم في الوقت الحالي فما بالك في المستقبل حيث تنبغ أبناء المدارس في العلوم الرياضية الجديدة بالنفع . وقد أشار الى ذلك الأديب : اسحاق أديب (٦٦) بقوله : (من الطويل) .

هو العلم حتى يدرك المرء غامضاً ولا يختشي فيما يقول معارضاً [٢٠]
وما الشعر الا شاغل عن نواله - فهذا قريض بات للعلم قارضا
وقد صرفت أفكارنا نحو صرفنا وفي النحو بات الوقت والذهن غائضاً
فذا ناصب منا يخالف رافعاً وذا جازم منا يغاير خافضاً
سفاسف أقوال تقادم عهدها فلم تبد مستوراً ولم تجل غامضاً
ملأنا بها الأوراق وهي فوارغ من النفع الا بارق مرّ وامضاً
وقال آخر : (من الكامل)

لا تحسبن الشعر علماً نافعاً ما الشعر الا محنة وخبال
فالهجو قذف والرثاء نياحة والعتب ذل والمديح سؤال (٦٧)

وأما من تعلم منهم الفقه فأجارنا الله منه ، فانه انما يتقنه ليجعل الحق باطلا والباطل حقاً حسب الاقتضاء ، ومن النادر وجود واحد منهم على نهج الاستقامة بل الغالب منهم كما قال الشاعر : (من المتدارك)

سلاّب المال بلا حرج [٢١]
قم نحو حمّاه وابتهج

أما القاضي في بلدتنا
أن رمت الحق يكن بطلاً

وقال آخر : (من الكامل)

طلب العلوم ليرتقوا بتنافس
نيل المراتب عندهم بقلانس
وفخاره أن يرتدي بطيالس
شرف الفتى فيه بحسن ملابس
وغدونا في ظلم النهار الشامس
وتقاسموا لجج الضلال الدامس
غايات علم الناس حدس الحادس

قد كان وصف الأقدمين جميعهم
والآن زال العلم منهم انما
وبطول ذقن المرء ادراك المنى
أترانا نرجو خير دهر قد غدا
ذهبت علوم قد أنارت ليلها
علمائنا جهلوا حقيقة دينهم
ذهب اليقين فلا يقين وانما

والحاصل أن هؤلاء القوم المغفلين على ما هم عليه من الجهل تراهم لا يقرون بفضل من أوصل المنافع اليهم مما يحتاجون اليه في مآكلهم ومشربهم وملبسهم وزينتهم وآدابهم ومداواة أمراضهم وهم مبشرون منافعها ، والذي ينبغي للإنسان ، أن لا يبخس [٢٢] أحداً حقه كما قال تعالى : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم (٦٨)) ولا ينبغي أن يعتمد على مجرد عقله ، بل ينبغي أن يستوضح ما خفي عليه ادراكه . ألا ترى أن عقولنا جميعاً لا يمكنها أن تتصور عمل الكبريت ، خصوصاً الملون الشعاع ، بل لو فرغت علبه منه وطلبت من أحدنا أن يملأها كما كانت لعجز عن ذلك . أفصبح لنا أن ننكره بمجرد كون عقولنا لا تتصور عمله ، ونحن كل يوم نوقد منه مصابيحنا ؟ ! وهل يليق بنا أن ننكر مصابيح الغاز (٦٩) الذي ننير به منازلنا بثمان بخس بما لا يمكن أن نعادل به من زيت الزيتون أو من شمع العسل ولو صرفنا أضعاف ما نصرفه على ذلك ؟ ! وكثيراً ما نرى آلة من عمل الافرنج ولا نعرف لأي غاية صنعت حتى يفهمنا أحد منهم سرّها ، فهذا قصورنا في فهم صنائعهم الجزئية فما بالك في صنائعهم الكلية مثل الوابور (٧٠) والتلفون (٧١) وحافطة الصوت (٧٢) والمكسر سكوب (٧٣) وما أشبه ذلك . وأعظم وأهم الجميع الآلات الحربية التي عليها [٢٣] الاعتماد في حماية الدين والوطن . فهل تعهد من يحسن عمل كبسولة (٧٤) في جميع بلادنا (٧٥) ؟ ! كلا . فهل معرفتنا الشعر والنحو والبديع والأحاجي التي هي كالرياح تسمع لها دويّاً ولا ترى لها جرماً تسد هذا الخلل ، وتقيم لنا عذراً عن هذا القصور ؟ كلا ، لا يقول هذا الا من طمس الله على لبه ورده الى أسفل السافلين في المرتبة الحيوانية . وكان حكمة الله اقتضت أن لا يتيسر لأحد من أهل بلادنا اختراع شيء مفيد لأن عقولنا ضعيفة فلا تحتل ذلك (٧٦) ألا ترى أن أحدنا اذا كان متقناً علماً ولو خسيساً مثل الشطرنج (٧٧) أو المنقلة (٧٨) أو الدومنو (٧٩) أو لعب الحكم (٨٠) أو اللعب بالنبوت (٨١) ، أو كان يعرف يقسم أربعين قباوة (٨٢) في سبعة صحون ، يكاد يعلو شبراً عن الأرض في مشيته

تيهاً وعجباً ، مع أن هذه العلوم لا نفع منها بل ضررها مقطوع به ، فكيف لو توفق لعمل شيء مفيد للناس ؟ فلا شك أنه يرى نفسه حريّة بأن يحملها الناس على رؤوسهم * .

نعم ان الانسان يرغب في مطالعة دواوين الشعر وهو [٢٤] في سن العشرين الى الثلاثين كما يقتضي طوره ، فاذا تجاوز هذا السن ترك الشعر وانتقل الى علم أرقى منه كعلم التاريخ ثم الطبيعة ثم الهيئة ثم الجغرافية وهكذا كلما ترقى عقله يترقى طلبه للعلوم . أما كونه يبلغ الأربعين والخمسين من عمره وهو باق في نقطة واحدة من الشعر والبديع والاستعارة وما أشبه ذلك ويقنع نفسه بأنه على شيء من العلوم فذلك ضرب من الجنون وقصور في الهمة ، ألا ترى أن الطفل متى قدر على أن يمسك في يده شيئاً وأعطيته قطعة من الورق مثلاً فانه يأخذها فرحاً بها فيقبلها وينظر في ظاهرها وباطنها ويتشاغل بها عن البكاء ، وحينما تطول مدة بقائها في يده يتركها ويبيكي فاذا رددتها اليه ثانية لم يأخذها ، وأما ان أعطيته غيرها على هيئة جديدة كما اذا كانت مكتوبة قبلها ثم اذا رأى غيرها مذهب ترك المكتوبة وطلب المذهب وهكذا ينتقل من شيء الى شيء أسمى * وكلما ترقى عقله ترقى مقصده على الدوام [٢٥]

نعم لا بأس بالشعر الحسن اذا كان متضمناً مواضع (٨٩) وحكماً من شأنها نهاض الفكر والتنبيه على محاسن الآداب والارشاد والحث على المحبة والاجتهاد كقول الشيخ حسين الجسر الطرابيشي (٩٠) مؤلف الرسالة الحميدية : (من الرجز)

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| وكن محب الوطن المعظم | ذا غيرة عليه في التقديم |
| فجبهه عند من الايمان | وبفضه من أعظم الخسران |
| وايذل لهذا الخلق المجهودا | حتى يكون طبعك المحمودا |
| فلا ينال المرء من فلاح | حتى ترى الأوطان في نجاح |
| فغيرها خير لكل واحد | من أهلها من واجد وفاقد |
| فما نجاح الأمم الغريبه | الا بهذي الخصلة السنيه |
| وباكتساب العلم والفنون | وغير ذا من واهن الظنون |
| فاصبحت ديارهم جنانا | غنية وعزها مصانا |
| وقد غدوا أعزة الملوك | أعظم الغني والصعلوك |
| وكل ذا من جبهه للوطن | وكسبهم لكل فن حسن [٢٦] |
| هذا هو التمدن المحمود | اليه يسعى الطالب السعيد (٩١) |

وقلت متشبهاً بالحكماء ومقلداً للشعراء : (من البسيط)

من يطلب التبر من ترب الحديد فذا من أحقق الناس أو من جملة البهم

من ينتقد لك أعمالا تشان بها
وان- صحبت فتى من أجل ثروته
لا تبد قولاً اذا ما بان تجعده
أعن أخاك اذا ما كنت ذا سعة
يستعبد الحر في صنع الجميل كما
ان البغيل الرفيع الأصل مضطهد
صاحب أجا العلم تأمن من بوائقه
ومن تظاهر بين الناس في ورع
واحكم على من يرى جم الرفاق له
وكثرة المال بالأندال تفعل ما
نرجو المَعذرة من القراء الكرام عن ركافة هذه الأبيات ولهم الفضل .

وأما الشعر الرديء كقول القائل (٩٢) : (مجزوء الرجز)

يا ساجداً في بركك وصائداً في شبك
لا تحقرن ككي فككي ككي

فسماع نهيق الحمار ربما كان أطرب من هذا وأمثاله ، كأنه ظن أن كافاته تقوم مقام كافات الشتاء (٩٣) ، لقد أخطأت استه الحفرة . ويحسن هنا أن نورد ما نقله المرحوم خير الدين باشا التونسي (٩٤) في كتابه « أقوم المسالك » عن مسيو دوري وزير المعارف العمومية بفرنسا (٩٥) ، فلعل الذي يسمعه من خواص أهل بلادنا تدب فيه حرارة الغيرة على حاله ووطنه ، فيصرف همه في العلوم والمعارف لاستحصال المنافع التي يحتاج إليها ترقى الوطن وتجمله في الصنائع والفنون ، قال المسيو المذكور ما ترجمته : « بينما كان أهل أوربا تائهين (٩٦) في دجى الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط ، اذ سطع نور قوي من جانب الأمة الاسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك [٢٨] حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفاس (٩٧) وغرناطة وقرطبة (٩٨) مراكز عظيمة لدائرة المعارف . ومنها انتشرت في الأمم واغتنت منها أهل أوربا في القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنوناً علمية يأتي بيانها ، . الى أن قال (٩٩) : « كانت الآداب قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم ، مؤداة بلغتين : الحميرية في اليمن والقرشية في الحجاز وبالأخيرة (١٠٠) جاء القرآن . ثم لما اتسعت لهم دوائر الفتوحات واختلطوا بالأمم الذين سبقوهم في الحضارة اتسع لهم نطاق المعارف ، فأخذوا عن اليونان تأليف أرسطو (١٠١) وشرحوها بامان نظر ، لكن من سوء (١٠٢) البخت لم يأخذوا الفلسفة

من كتب اليونان الأصلية ، وانما تعلموها من الكتب المترجمة بلغة أهل الشام ، فهم ترجموا المترجم ، فذلك لما نقلها الفيلسوف العربي حفيد ابن رشد (١٠٣) الى أوروبا في القرون المتوسطة [٢٩] وجد بها التحريف أكثر مما وقع فيها أولا . وأما العلوم الرياضية فقد صادف فيها العرب المرمى ، والفضل في ذلك للعلماء الذين جلبهم الخليفة المأمون من القسطنطينية ، وفي أوائل القرن التاسع المسيحي أمر الخليفة المذكور عالمن من فلكية بغداد أن يقيسا مسافة درجة واحدة من خطوط الطول بصحراء سنجار ويزناها ليثبت بذلك تكوير الأرض بالمشاهدة ، وقد تبين ذلك باختلاف ارتفاع القطب الشمالي عن طرفي (١٠٤) الخط المقيس ، وقد شرح العرب كتاب اقليدس (١٠٥) وهذبوا زيچ (١٠٦) بطليموس (١٠٧) وحرروا حساب تمريرج منطقة البروج ، كما حرروا الفرق بين أوقات الاعتدال والفرق بين السنين الشمسية والزمنية ، فوجدوا بينهما عدة دقائق ، ومنهم حازت مدينة (سمرقند) قبل أوروبا بكثير محلّ رصد عجيب (١٠٨) . ويمكن انهم نقلوا اليها على ذلك [٣٠] الوجه البوصلة أي : بيت الابرة ، والبارود الذي تعلموه من أهالي (١٠٩) الصين كما يعترف لهم أهل أوروبا بمزية اختراع الكاغد (١١٠) من القماش ، وبذلك كثرت الكتب وتدنّت أسعارها ! وقد اشتهر العرب أيضاً بمعرفة الطب الذي كانوا تلقوه من كتب اليونان ، ولا بن رشد تعليقات عديدة على كتب جالينوس (١١١) شاهدة بما ذكر . ومن فلاسفتهم عدة أشخاص صاروا في مدة واحدة (١١٢) حكماء وأطباء مشاهير مثل أبي علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٦ هـ ، وابن رشد المذكور . وقد بلغوا من الشهرة الى حيث صار أعداؤهم في ذلك الوقت يرغبون في معالجتهم اياهم ، كما يحكى أن بعض ملوك قسطنطية كان اعتراه مرض الاستسقاء فاشتهدى أن تكون معالجتة بقرطبة ، وحصل من لطف الخليفة على الاذن في أن يذهب ويداويه المسلمون . ومن مآثر حكماء العرب كيفية تقطير المياه [٣١] واستعمال الراوند (١١٣) وأدوية كثيرة . ومن العلوم التي لهم الفضل فيها الجغرافية . وسبب تقدمهم فيها أن اتساع فتوحاتهم ورغبتهم في الأسفار الخطيرة لافتراض (١١٤) الحج عليهم أنتجت لهم المعرفة بكثير من البلدان الشاسعة التي لم يصل اليها أهل أوروبا أو نسوها بعدما كانت معروفة لهم (١١٥) ومن مشاهيرهم في هذا الفن أبو الفداء (١١٦) والمسعودي (١١٧) والادريسي (١١٨) ، وهذا الأخير هو الذي استدعاه روجير (١١٩) ملك صقلية وألف عنده كتابه الغريب الذي سماه : « نزهة (١٢٠) المشتاق » (١٢١) . ومن مآثر العرب اصطناع الجوابي (١٢٢) والفوارات والتزويق بالذهب والأحجار الثمينة كالمرمر التي كانوا يجلبونها من المشرق (١٢٣) ومن مقاطع اسبانيا الجنوبية . ومن أشهر أبنيتهم الجامع العظيم الذي بناه « عبدالرحمن الأول » (١٢٤) بقرطبة وكان به ألف وثلاث وتسعون (١٢٥) أسطوانة وأربعة آلاف وسبعمائة قنديل ثم قصر الزهراء الذي لا يتأخر عن الجامع المذكور في العظم (١٢٦) وقد بناه « عبدالرحمن الثالث » (١٢٧) انتهى [٣٢] كلام المسيو مسيودوري (١٢٨) .

وفي تاريخ العرب (لسدليو) (١٢٩) مدرس علوم التاريخ باحدى مدارس فرنسا وأحد أعضاء جمعية المعارف بها ما معناه « اني منذ مدة طويلة تنيف على العشرين سنة مشغول ببيان مزايا العرب على غيرهم من الأمم فيما يتعلق بالعلوم والتقدم في التمدن مدة قرون متطاولة ، من أيام اليونان بالاسكندرية الى أيام العصر الجديد ، فلزمني أن أجمع ما تيسر

لي من الأدلة على عظم هذه الأمة التي لم يعرف قدرها الى الآن ، وأعرضه على ما لغيري ممن تكلم عليها فيتأسس تاريخاً لها (١٣٠) لها عمومياً (١٣١) ، وان كان ذلك مما لا تفي به طاقة انسان واحد ، وقبل الشروع في ذلك على وجه الاختصار يلزمني أن أندب الناس الى التأمل في أحوال هذا الجنس الذي كان كثير الفتوحات عديم الاستيلاء عليه في سائر مغازيه ولم يزل مدة أربعة آلاف سنة على حال واحد في اكتساب الفضائل والمزايا التي تميز بها على غيره ، والتراتب والعادات [٣٣] الخاصة به . ومن حجج ذلك أن الوقت الذي كانت فيه الممالك القديمة في مبدأ تكوينها ذات حيرة ، كان هذا الجنس اذ ذاك قائماً بنفسه قادراً على الاغارة على غيره ، فقد كانت ملوك مصر وبابل من ذلك الجنس مدة تسعة عشر قرناً قبل التاريخ المسيحي ، ثم بعد أن رجع الى حدوده الأصلية دافع عن نفسه سلطة الفراعنة وملوك الشام وامتنع من تسلط قيرس (١٣٢) واسكندر ودام في استقلاله ضد الرومان الذين كانوا ملوكاً الدنيا ، وبعد ظهور النبي (ﷺ) الذي جمع قبائل العرب أمة واحدة تقصد مقصداً واحداً ، ظهرت للعرب أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر طاج (١٣٣) في اسبانيا الى نهر الغانج (١٣٤) في الهند ، ورفعت على منار الاشادة (١٣٥) أعلام التمدن في أقطار الأرض أيام كانت أوربا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة كأنها نسيت بالمرّة ما كان عندها [٣٤] من التمدن الروماني واليوناني ، وبعد انقسام ممالك الاسلام لم تتعطل العلوم والآداب التي نتجت على أيديهم ، فان خلفاء بغداد وقرطبة ومصر وان ضعفت قوتهم الملكية والسياسية فان سلطنتهم الروحانية لم تنزل قوية مطاعة في كل جهة لاجتهادهم في توسيع دوائرها بقدر طاقتهم ، وقد نال النصاري الذين استطاعوا اخراج العرب من اسبانيا بالخلطة معهم في الحروب معارفهم وصنائعهم واختراعاتهم ، ثم المغل والترك الذين تسلطوا على آسيا وتداولوها كانوا خدماً في العلوم لمن تغلبوا عليه من فرق العرب ، والى الآن لم نطلع في أوربا على الأصول التي تبين لنا عادات العرب اطلاقاً تاماً ، اذ لم يعرف عندنا من تواريخهم الا تواريخ أبي الفداء وأبي فرج الأصبهاني (١٣٦) والمقريزي (١٣٧) وابن الأثير (١٣٨) ونبذة من تاريخ ابن خلدون (١٣٩) ونجهل بالمرّة تواريخ كثيرة نود لو نجد من يترجمها لنا ، وان كان [٣٥] المقدار الذي حصل عندنا كافياً في رد غلط من غلط من أهل أوربا في شأن العرب . ثم اني ذكرت في تاريخنا هذا ما يتعلق بفتوحات الخلفاء الأولين وبتاريخ دولة بني أمية بدمشق وقرطبة وبتاريخ دولة بني العباس ببغداد والفاطميين بمصر ، وبانقسام الممالك الاسلامية بالشرق بعد تسلط الترك والمغل عليهم ، فبينت جميع ذلك بقدر الطاقة وزدت عليه شيئاً لم يوجد في التواريخ السالفة وهو برنامج التمدن الذي قد توشجت (١٤٠) عروقه في الدنيا القديمة واستمرت آثاره ظاهرة الى الآن لكل من يبحث بالجد عن أصل المعارف منا ، وفي أوائل القرن الثامن من تاريخنا تبدل ولوعهم بالفتوحات بالجد في المعارف والعلوم فكانت اذ ذاك قرطبة ومصر وطليطلة وفاس والرقّة (١٤١) واصبهان وسمرقند تتسابق في ميدان العلوم مع بغداد تحت بني العباس ، وترجمت في تلك المدة كتب اليونان وقرئت [٣٦] بالمدارس وشرحت وسرت حركات عقولهم في جميع مواد المعارف الانسانية فنتج عنها من الاختراعات الغريبة ما شاع صيته في أوربا . فبين بلا اشكال أن العرب هم أساتيدنا بلا انكار لكونهم جمعوا الأدوات المؤسسة عليها تواريخنا المتوسطة ،

وبدؤوا (١٤٢) بكتابة الرحلات واخترعوا التأليف في تاريخ وفيات الأعيان ووصلوا في صناعة اليد الى غاية لا تحد ، وبقيّة آثارأبنيتهم مما يدل (١٤٣) على اتساع معارفهم ، وكذلك اختراعاتهم الغربية تزيد بتألفضائلهم التي لم ينزلوا بها الى الآن منزلتهم التي يستحقونها بسببها ، فان علوم الفيزيك والطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء والفلاحة ، لما جاءت (١٤٤) في أيديهم ازداد فيها الغريب مع كونها من المحسوسات التي لاتصرف لها همهم صرفاً تاماً ، فكيف بالعلوم العقلية التي اجتهدوا فيها اجتهداً يفوق الحدمن مبدأ القرن التاسع الى انتهاء القرن الخامس [٣٧] عشر . ثم نقول : ما نسبة ما عرفناه الآن منهم ببحثنا الى ما بقي مجهولاً لنا من ذلك . وبالجملّة فالعرب هم منبع معارفنا ، ولم نزل الى الآن نطلع على أشياء من مخترعاتهم التي كانت منسوبة لغيرهم كلما قرأنا كتبهم ، ثم قال في شأن التمدن العربى ، انهم كانوا في القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الأمم وانقشعت بسببهم سحائب البربرية التي امتدت على أوروبا حين اختل نظامها بفتوحات المتوحشين ورجعوا الى الفحص عن ينابيع العلوم القديمة ، ولم يكفهم الاحتفاظ على كنوزها التي عثروا عليها ، بل اجتهدوا في توسيع دوائرها ، وفتحوا طرقاً جديدة لتأمل العقول في عجائبها (١٤٥) ، ثم استشهد بقول اسكندر همبلط (١٤٦) : ان العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين الأمم المنتشرة من شواطىء نهر الفرات الى الوادي الكبير باسبانيا وبين العلوم وأسباب التمدن ، فتناولتها الأمم (١٤٧) على أيديهم لأن لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم أثرت في الدنيا تأثيراً [٣٨] لا يشبّهه بغيره . فكانوا في طبيعتهم مخالفين لبنى اسرائيل الذين لا يطيقون خلطة أحد من الناس ، فيخالطون غيرهم من غير أن يختلطوا به ، ولا يتبدل طبعهم بكثرة المخالطة ، ولا ينسون أصلهم الذي خرجوا منه ، وما أخذت أمم ألمانيا في التمدن الا بعد مدة طويلة من فتوحاتهم ، بخلاف العرب فانهم كانوا يحملون التمدن معهم ، فحيثما حلوا حل معهم ، فيبثون في الناس دينهم وعلومهم ولغتهم الشريفة وتهذيباتهم وأشعارهم الشهيرة التي هي أساس بنى عليه المنسئقر (١٤٨) والتربدور (١٤٩) أشعارهم . ثم قال (١٥٠) وأما التجارة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها ، في سائر الأوقات ، ثم لما امتدت سلطنتهم من البيريني وهي جبال بين فرنسا واسبانيا الى جبال هملاي التي بأقصى شمال الهند صاروا أكبر تجار الأرض . وأما الفلاحة فلا يعلم لهم نظير فيها اذ ليس لغيرهم ما لهم من الاقتدار على جلب المياه وتوزيعها بلطف في مزارعهم الواسعة تحت شمسهم [٣٩] المحرقة ، فسيرتهم في ذلك السائر بها الى الآن أهل بلنسية (١٥١) روضة اسبانيا صالحة أن نجعلها أسوة نقتدي بها في فلاحتنا الفرنسية ، وأما الصناعات فان العرب تعلموا جميعها لما دخلوا بلاد الرومانيين العظيمة حتى صاروا من أحذق أربابها ، وكفاهم شهرة في ذلك سلاح طليطلة التي كانت تحت سلطانهم باسبانيا ، وحريريات غرناطة والجبوخ (١٥٢) الأزرق والأخضر بمدينة كونسنة ، والسروج والخروج بقرطبة ، وكان أهل أوروبا يشتررون هذه المهمات بأغلى ثمن ويتنافسون فيها مع شدة نفرتهم من أهلها المخالفين لديانتهن . ثم قال بعد ذلك : ونعود الآن فنقول : (١٥٣) انه ثبت عندنا بما صنفه العرب واخترعوه رجحان عقولهم الغريب في ذلك الوقت الذي وصل صيته الى أوروبا النصرانية ، وهذا حجة

على أنهم كما قال غيرنا ، ونحن نعتز بهم أساتيدنا ومعلمونا (١٥٤) الذين اهتدنا بنور علومهم وتمدّنهم وآدابهم . انتهى [٤٠] كلام المسيو سديو .

فالعجب كل العجب من قوم يقول لهم الافرنج : قد أخذ أسلافنا كثيراً من حقائق علم الفلسفة والهيئة والطب والكيمياء عن أسلافكم ، ولو لم يقتبسوا من نور علومهم لبقينا في ظلمات الجهل الى الآن ، وهم يتبرؤون منها ومن نسبتها الى أسلافهم حتى انهم يكفّرون من قال بها أو يفسّقونه ، فسبحان من يداول الأيام بين العباد وله المراد فيما أراد واليه المعاد . ولا بأس من أن نذكر ما جرى في جمعية علماء اللغات الشرقية بمدينة ليدن لما فيها من الفوائد وذلك أنه من مدة عشر سنوات عينت علماء اللغات الشرقية مكان اجتماعهم مدينة ليدن من بلاد دولة هولاندة كما هي عادتهم في كل ثلاث سنين ، وكانت الجمعية المذكورة مؤلفة من سائر طوائف أوروبا من كل ملة بلا استثناء ، والذي كان من طرف الدولة العلمية حضرة الشيخ أمين أفندي المدني (١٥٥) ففسي نهاية اجتماعهم بعث المذكور رسالة الى مجلة [٤١] المقتطف البهية في بيروت بخلاصة ماجرى في الجمعية فنشرتها في وقتها بحروفها فاقتطفنا منها ما يأتي : قال بعد أن ذكر محاورات العلماء وخطبهم وانتقادهم أقوال بعضهم من غير خروج عن حد الأدب (١٥٦) : أن أحد علماء فرنسا ويين واسمه المسيو رينان (١٥٧) كان ألف رسالة أنكر فيها على العرب ظهور واحد منهم بمظهر الفلسفة أو الحكمة ، فلما جرى ذكرها وذكر مؤلفها التفت أحد العلماء الانكليزيين واسمه الدكتور «تين» وقال : لا يُنكر فضل العرب وعلومهم (١٥٨) الا من عميت بصيرته ، فان أوروبا على تقدمها في العلوم ، وجدّها واجتهادها لو لبثت مائة عام وهي تقرأ لا يمكنها أن تعرف مقدار فلاسفة العرب في الأندلس فقط فضلا عن فلاسفة المشرق ، ونحن لولا هؤلاء الفلاسفة ما وصلنا الى شيء من علوم الأولين ثم لا زلنا ولا نزال كلما وجدنا حجراً مكتوباً أو عظمة أو خزفة (١٥٩) أو جلد من آثار (١٦٠) العرب نستخرج منها تواريخ ونوادير وفوائد ولكن الأولى عدم الرد على المسيو [٤٢] رينان لأنه جاحدٌ مُصادر يكابر في الحس كمن ينكر ضوء الشمس عناداً على أن جميع الأفكار الحاضرة لا تقصد الا توحيد الكلمة والتأليف بين النوع الانساني على اختلاف العوائد والمعتقدات بخلاف المسيورينان فانه يحاول أن يشق العصا حتى يردها جذعة . انتهى كلام الدكتور تين . ثم قال الشيخ أمين أفندي المذكور : (١٦١) ومما يستحق البيان أيضاً أننا في المشرق لا نعرف أحوال أهل أوروبا ولا العلوم التي يشتغلون بها ولا الكتب التي طبعوها في شيء ديني أو علمي (١٦٢) وقد وجدت فيهم قوماً يشتغلون بمذهب الحنفي (١٦٣) وقد طبعوا فيه كتباً عظيمة منها شرح القدوري (١٦٤) وفتاوى القروي (١٦٥) والتلويح في الأصول ، وبعضهم يشتغل بمذهب الشافعي (١٦٦) ، وقد طبعوا (١٦٧) منه : التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي (١٦٨) بغاية الجودة والضبط ، ومنهم من هو شارح في شرح الورقات لامام الحرمين (١٦٩) ، وقد طبعوا صحيح البخاري (١٧٠) وتفسير البيضاوي (١٧١) وغير [٤٣] ذلك من الكتب الشرعية (١٧٢) الاسلامية وبعضهم مجد (١٧٣) في تدريس هذا التفسير مع التحقيق والتدقيق والمحاورة بينه وبين تلامذته . وأخبرني رجل منهم أنه يقرأ كل يوم عن ظهر الغيب جزءاً من القرآن المجيد ، ثم اذا صرفنا النظر عن غايات الافرنج في طبع هذه الكتب فأين يبيعونها وهم لا يطبعون أقل من خمسمائة نسخة من كل كتاب ، واني مع

اشتغالي بالكتب مدة ستين ما رأيت أكثرها في بلاد المشرق . ولا سمعت بأنه طبع منها (١٧٤)، ويخشى (١٧٥) ان دام هذا الاهتمام في أوربا أن تشد اليها رجال التحصيل من سائر الأقطار، حتى في طلب العلوم الشرعية الاسلامية ، لأن الافرنج متى اشتغلوا بعلم فانهم لا يتركونه بل (١٧٦) يغوصون في بحاره فيستخرجون درء من طينته خصوصاً (١٧٧) أن ملوكهم مجدون في تمهيد السبل ، وعلماءهم أسخياء بما لديهم ، وكتبهم سهلة التناول والاعارة وبلادهم رغدة العيش ، والأبدان فيها صحيحة ، والأديان حرة، فكل هذه أسباب داعية [٤٤] الى انجذاب العالم اليهم . انتهى كلام الفاضل الشيخ أمين أفندي المدني والله درء الشاعر حيث يقول : (من البسيط)

مهلا فلا خير بابن قد زرى باب
لهم على قوم اسماعيل ذي النسب
معالم العرب كل العلم والأدب
يتلوه والشعر حتى كل منتخب
في أرض أندلس من تلكم الكتب
أرزاقتا آه واحزني وواعجبي
على غني فاكتسى طوقاً من الذهب
ذا اللص فالدهر حكم غير منقلب
على بني العرب أهل الأصل والحسب
فكرّموا سلماً تمتد للشهب
فالعرب سادتكم من سالف الحقب [٤٥]
ما جاء سيده الا من الجنب
لم يلف بينهما - والله - من نسب
ومن ذكاء ومن صفو ومن طرب
مروءة دأبها تبدو لدى الطلب
فاغتلتموه وشتتم ذمة العرب
قري ضيوف واحسان لمقرب
فما خلائكم يا أمة اللجب
ومن عتو ومن حققد ومن غضب

حتى م تزرون يا افرنج بالعرب
ما فضل قوم من الأوباش لا نسب
ان كان بالعلم جئتم تفخرون فمن
أخذتم الطب عنهم والحساب وما
تذكروا ما غنمتم يوم ندوتكم
فهل فضلتهم علينا باختطافكم
وأي فضل للصد دبّ في غسق
فسوف يقبض جاسوس الزمان على
لا تفخروا يا بني الافرنج في شعلط
صعدتم الأوج لكن فوق سلّمهم
وطهروا عند ذكر العرب السنكم
مهما سما العبد واستعلى وزادغنى
ذي فطرة العرب عزت أين فطرتكم
أنشاهم الله من جود ومن كرم
ومن نمام أبى الا الثبات ومن
هم الذين لتاريخ القديم حموا
حسن الوفا والولا يغري لهم وكذا
هذي خلائكم والكل شاهدا
دحاكم الله من لؤم ومن عنت

فما نطقتم بغير المين والكذب
 خلّ سوى الفضة البيضاء والنشب
 ولا حنو ولا عون لمنتكب
 أنس لديكم ولا بشر لمرتقب
 حتى تعود لكم بالنهب والسلب [٤٦]
 تزروا بهم كازدراء الشوك بالعنب
 تذكر يا بني حمالة الحطب
 كل المناطق من قطب الى قطب
 وأرسلوا فخرهم يعلو على السحب
 ما بينكم واذا غابوا فلم تغب
 غير الحروب ودفع الناس في الحرب
 رأس المدار وهم الغرب للذنب

كانما معهد الطاغوت عندكم
 فلا صديق لكم غير النضار ولا
 ولا وفاء ولا عهد ولا نمم
 لم تحسنوا غير تعبيس الوجوه فلا
 ولم تمدوا يداً للغوث ان قصدت
 هيهات ما العرب تهوى ذي الطباع فلا
 تادبوا كلما للعرب عن لكم
 العرب قد ملكوا الدنيا وقد فتحوا
 وقد تعالوا وسادوا وارتقوا وسطوا
 وهاك آثارهم بالفوز شاهدة
 فما فضائلكم بالأرض نحسبها
 تبارك الله ان الشرق هم الى

كان شاعرنا المجيد أخذته الحدة حتى توسع في هجو القوم زيادة عن ما يقتضي ، وعلى كل حال لافض فوه . فليعمل أهل هذا الزمان موازنة بينهم وبين أسلافهم الكرام ليعلموا في أي درجة كانوا من الترقى وما صاروا هم فيه من الانحطاط ، نسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه بجاه من شرف السماء قدماء . آمين .

وأرجو ممن اطلع على هذه المقالة المشوشة المبني (٤٧) أن ينظر اليها بعين الانصاف من حيث المعنى ، ولا يطلب مني تنميق العبارة ، ولا الجمل المزيينات بالتورية والاستعارة ، فاني قليل البضاعة في هذه الصناعة . فالمفلس معذور والكريم غفور وصلى الله على سيد خلقه ومن فاق الجميع بخلقه وخلقه ، ورضي عن آله وصحبه وأهله وحزبه آمين .

حرر في سنة ١٣١١

الهوامش :

١ - في الاصل : المبروات .
 ٢ - آل عمران : ١٩٠ .
 ٣ - يبدو انه يريد « المنطاد » وهو قبة هوائية ترتفع في الجو . هكذا عرفه في المنجد ، وهو تعريف غير دقيق
 الأولى - فيما أرى - ان يقال : انه قبة مصنوعة من قماش كتيم تملا بغاز اخف من الهواء فترتفع حاملة معها ما يتعلق بها . وانظر وصف المنطاد في كتاب تاريخ

٤ - في الاصل : شاؤها .
 ٥ - Telegraph : هو ارسال الخبر بالاسلكي وهو ما نسميه : البرق - انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٧٤٣/٥٠ المرجع للتلايلي .

- ٦ - Vapor ومعناها البخار ، وما أدري أيريد المؤلف بها
القطار أم موقد النفط المستخدم في المطبخ .
- ٧ - Telephone : هاتف - المرجع - وانظر مجلة مجمع
اللغة العربية م ٥٠ ص : ٧٤٤ .
- ٨ - هل يريد وهمهم ؟ أو أنهم يوهمون غيرهم من أوهم
يوهم أيها ما .
- ٩ - وضع الكاتب هذه العبارة بين قوسين (هو بيت من الشعر
من مجزوء الكامل) .
- ١٠ - الامام ابو حامد الغزالي - حجة الاسلام - محمد بن
محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، ولد بالطبران إحدى قصبي
طوس بخراسان سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م وتوفي سنة
٥٥٥ هـ - ١١١١ م . فقيه ، متكلم أصولي ، صوفي ،
مشارك في أنواع من العلوم ٥٠٠ معجم المؤلفين ٢٦٦/١١ .
- ١١ - في التهافت : قسم يرجع النزاع فيه ٥٠ : ٧٧ .
- ١٢ - في التهافت جملة اعتراضية : - تعالى عن قولهم - .
- ١٣ - في التهافت : تفسيرهم .
- ١٤ - في التهافت : الى مقوم يقومه . وقد حذف الكاتب بقية
كلام الغزالي على سبيل الاختصار .
- ١٥ - في التهافت : القسم الثاني : ٧٨ .
- ١٦ - في التهافت : الأنبياء والرسول - صلوات الله عليهم - .
- ١٧ - في التهافت : محيط .
- ١٨ - في التهافت : وهذا الفن .
- ١٩ - في التهافت : يتحقق .
- ٢٠ - هكذا في الأصل . والصواب : الكسوفين كما في
التهافت : ٧٨ .
- ٢١ - في التهافت : ان هذا .
- ٢٢ - تهافت الفلاسفة : ٧٧ - ٧٨ ط : دار المعارف .
ص : ٤ ط مصر سنة ١٣١٩ هـ .
- ٢٣ - نقل الكاتب هذه المعلومات من مجلة المقتطف م ٨
ص : ٦٦٨ .
- ٢٤ - في الأصل : ليجعلونها .
- ٢٥ - يعني معرفة فرق المنسوب بين النقاط المختلفة على
سطح الأرض ومعرفة أماكن الحفر والردم لكي لا يتجاوز
الميل الأعظمي المسموح به في السكك الحديدية .
- ٢٦ - يبدو أنه يريد معرفة مقاومة الهواء الساكن ومقاومة
الرياح الهائجة لجسم القطار . انظر السكك الحديدية
ص ٢٣٧ ، للمهندس عبد النافع شاهين .
- ٢٧ - المضخة .
- ٢٨ - يصح هذا المقياس في الشروط النظامية للضغط الجوي .
والا فان العمق يختلف زيادة ونقصانا بارتفاعنا أو
بانخفاضنا عن سطح البحر .
- ٢٩ - هكذا في الأصل .
- ٣٠ - في الأصل : مراعات .
- ٣١ - انظر هذه الاخبار وامثالها في كتيب صغير بعنوان : بدائع
الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن ياس .
طبع في مصر ، المكتبة السعيدية بجوار الأزهر .
- ٣٢ - نسبة تركية الى المكتب .
- ٣٣ - حسن حسني « باشا » بن حسين عارف الطويراني
١٢٢٦ هـ - ١٣١٥ هـ ، ١٨٥٠ - ١٨٩٧ م : شاعر
منشئ ، تركي الأصل مستعرب . ولد ونشأ بالقاهرة ،
وجال في بلاد آسية وأفريقية والروم وأقام بالقسطنطينية
الى أن توفي . كان أبي النفس بعيدا عن التزلف
للكبراء ، وكان يجيد الشعر والانشاء باللغتين العربية
والتركية ، وله في الأولى نحو ستين مصنفًا وفي الثانية
نحو عشرة . وأكثر كتبه مقالات وسوانح . عن الأعلام
٢٠١/٢ باختصار . وانظر معجم المؤلفين ٢١٦/٣ .
- ٣٤ - في كتاب المعارف : ١١ ثم قال الله عز وجل : نخلق بشرًا
بصورتنا ، قارن بالعهد القديم : سفر التكوين : ص ٢ :
وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا .
- ٣٥ - هذا حديث موضوع . انظر كتاب المطالب في احاديث
مختلفة المراتب ص : ١١٠ .
- ٣٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الآخر ويقول : من يدعوني فاستجب
له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له .
صحيح البخاري : ١٣١/١ باب الدعاء والصلوة في آخر
الليل . الترمذي : برقم ٤٤٦ . والحديث صحيح ، ولا
وجه لانكار ما فيه ولا حجة الا الفهم السطحي ، وقد
شرحه الامام ابن قيمية مبينًا مقاصده ودلالاته وطبع شرحه
في المكتب الاسلامي بدمشق .

٥٧ - وهي القصيدة المعروفة بلامية العرب • وقد نشرتها مشروحة وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٦٦ بتحقيق الأستاذ عبد المعبن الملوحى ومطلعها :

اقبمو بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل
٥٨ - هذا البيت الثالث والأربعون من القصيدة • المنحوض :
القليل اللحم • الفصوص : جمع فص وهي فواصل
العظام • دحاها : فرشها • والمعنى : ووسادتي ذراعي
التي قل لحيهما، فكان فواصلها كعاب من العظام منتصبة •
الشرح : ٤٢ •

٥٩ - النازعات : ٢٧ •

٦٠ - آل عمران : ١٩١ •

٦١ - انظر روح المعاني ١٥٧/٤ وفيه : ويل لمن قراها ولم
يتفكر فيها •

٦٢ - الروم : ٥٠ •

٦٣ - يوسف ١٠٥ في المخطوط : وكم من آية •

٦٤ - اشارة الى قول النقاد قديماً أعذب الشعر اكذبه •

٦٥ - المائدة : ٤٢ •

٦٦ - هكذا في الأصل • الصواب : أديب اسحق : « ١٢٧٢ -
١٣٠٢ ، ١٨٥٦ - ١٨٨٥ » أديب اسحق الدمشقي :
أديب ، حسن الانشاء • له نظم • حرر في بعض صحف
بيروت • سافر الى الاسكندرية ثم الى القاهرة وأصدر
فيها جريدة (مصر) سنة ١٨٧٧ م ثم عاد الى الاسكندرية
وعمل في الصحافة • سافر الى باريس ١٨١٠ وأصدر
جريدة «مصر القاهرة» • ثم عاد الى بيروت فمصر • وغادر مصر
بعد الثورة العراقية وتوفي في قرية الحدث (بلبنان) •
عن الاعلام ٢٧٤/١ •

٦٧ - ورد البيتان غير منسوبين في كتاب فتح الرحيم الرحمن
شرح لامية ابن الوردي ص ٩٠ ط : مصر ١٣١ •

٦٨ - الأعراف : ٨٥ •

٦٩ - النفط •

٧٠ - سبق ذكرهما •

٧٢ - يبدو أنه يريد الأسطوانة •

٧٣ - المجهر •

٣٧ - بدائع الزهور : ١٢ - قارن بالمعهد القديم ، سفر
التكوين : ٣ •

٣٨ - بدائع الزهور : ٦ •

٣٩ - قال ابو سعيد قال النبي ﷺ : اول طعام يأكله اهل
الجنة زيادة كبد حوت عدن • البخاري : ٨٨/٤ كتاب
الرقاق ، باب صفة الجنة والنار •

٤٠ - نلاحظ أن السيد حسن الطويراني خلط في كلامه الصحيح
بالتأنيف ، وكان عليه أن يميز بين الأقوال ويعزو كل
قول الى صاحبه وينزله مكانه اللائق به في التفهام
والعقول •

٤١ - ورد ذكره في تاريخ الأستاذ الامام ٩٥٩/١ •

٤٢ - الفرقان : ٦٢ •

٤٣ - يس : ٣٣ •

٤٤ - يس : ٤٠ •

٤٥ - الشمس : ٤٥١ •

٤٦ - يس : ٣٨ •

٤٧ - في الأصل : تاويل •

٤٨ - النمل : ٨٨ •

٤٩ - من حكم اللفظ أن يحمل على حقيقته اذا تجرد ،
ولا يحمل على مجازة الا لدلالة • لأن واضح الكلام
للمعنى انما يضعه ليكتفي به في الدلالة عليه ويستعمله
فيه • المعتمد في اصول الفقه ٣٥/١ •

٥٠ - النمل : ٨٨ •

٥١ - النمل : ٨٨ •

٥٢ - الحج : ١ ، ٢ •

٥٣ - النازعات : ٣٠ •

٥٤ - قال ابن فارس : الدحو : الدال والحاء والواو اصل
واحد يدل على بسط وتمهيد • معجم المقاييس : دحو •
قلت : ومعنى البسط والتمهيد لا يناقض معنى كروية
الأرض لأن الجسم العظيم المكور يكون ظاهره كالسطح
المستوي : وانظر مفاتيح الغيب ٤٨/٣١ •

٥٥ - الرحمن : ١٠ •

٥٦ - ثابت بن اوس الأزدي • شاعر جاهلي صعلوك • قتل
حوالي عام ٥١٠ م •

٧٤ - الطعم .
٩٣ - كافات الشتاء جمعها محمود بن نعمة الشيخ ابو الشتاء
الشيرازي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ بقوله :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه

سبع اذا القطر عن حاجتنا حسبا

كيس وكن وكانون وكاس طلا

مع الكباب و . . . ناعم وكسا

النجوم الزاهرة : ٣٥٨/٥ . وانظر مقامات الحريري :
١٨٧ « المقامة الخامسة والعشرون » وانظر ايضا حلية
البشر ١٥١٢/٣ .

٩٤ - خير الدين باشا التونسي ١٢٢٥-١٣٠٨ هـ / ١٨١٠-١٨٩٠ م
وزير مؤرخ ، من رجل الاصلاح الاسلامي ، شركسي الاصل ،
قدم صغيرا الى تونس ، فاتصل بصاحبها (الباي احمد)
واثرى ، وتعلم بعض اللغات وتقلد مناصب عالية
آخرها الوزارة وفي سنة ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م ابعد
عن الوزارة . فخرج الى الآستانة وتقرب من السلطان
عبد الحميد فولاه الصدارة العظمى (سنة ١٢٩٥ هـ)
فحاول اصلاح الامور ، فاعياه ، فاستقال (سنة ١٢٩٦ هـ)
ونصب عضوا في مجلس الاعيان ، فاستمر الى ان توفي
بالآستانة . له كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال
الممالك . الاعلام : ٣٧٥/٢ .

٩٥ - ترجم له في حاشية القوم المسالك ص ١٢٠ بما يلي :
فكتور دوروي : Victor Duruy (١٨١١ - ١٨٦٤) مؤرخ ،
ووزير التعليم بفرنسا من ١٨٦٣ الى سنة ١٨٦٩ ثم
عضو بالاكاديمية الفرنسية ابتداء من ١٨٨٤ - اقتطف
خير الدين هذه الصفحات من كتابه : تاريخ القرون
الوسطى منذ سقوط الامبراطورية القربية الى وسط
القرن الخامس عشر - ط باريس ١٨٦٧ - ص ١١٢-١٢٨
(فصل حضارة العرب) .

٩٦ - في اقوم المسالك : بينما اهل اوربا تائهون .

٩٧ - في اصلنا المخطوط : فارس وهو تصحيف . والتصحيف
من اقوم المسالك ص ١٢٠ .

٩٨ - في اصلنا المخطوط : قوطاجنة والتصحيف من القوم
المسالك .

٩٩ - اقوم المسالك : ١٢١ - ١٢٢ .

١٠٠ - في المخطوط : وبالاخير .

٧٥ - قال الجبرتي بعد ان شاهد بعض تجارب الكيمياء ايام
الحملة الفرنسية على مصر « سنة ١٢١٣ هـ » : ولهم
فيه امور واحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج
لا يسمعا عقول امثالنا - تاريخ الجبرتي : ٣٧/٣ .

٧٦ - قارن بموقف الجبرتي السابق ذكره في المقدمة .

٧٧ - فارسي معرب وبعضهم يكسر شينه - المعرب : ٢٥٧ .

٧٨ - من ألعاب التسلية لا يزال الناس يلعبونها في مناطق
من الجزيرة السورية . وفيها ينقل الحصى من تجويف
الى تجويف ضمن خشبة معدة لذلك .

٧٩ - يبدو انه يريد الداما وهي لعبة تركية لا تزال منتشرة
في مقاهي بلادنا .

٨٠ - لم اعرف هذه اللعبة .

٨١ - معنى الثبوت العصا الغليظة والفرع النابت من الشجر
ولعله يريد بذلك لعبة ادواتها عصوان غليظتان يتبارز
بهما لاعبان .

٨٢ - ربما كان يريد بالقباوة ما يطلق عليه « الصرة » وهي
جزء من كرش الغنم يحشى بالرز والمحم ولعل الكلمة
شائعة حتى الآن في حلب وهناك اسرة بهذا الاسم كما
ان الكلمة متداولة في حمص .

٨٩ - في الاصل مواظا .

٩٠ - حسين الجسر ١٣٦١ - ١٣٢٧ هـ ، ١٨٤٥ - ١٩٠٩ م
حسين بن محمد بن مصطفى الجسر الطرابلسي الحنفي ،
عالم ، اديب ، صحافي . ولد بطرابلس الشام ، وانشأ
جريدة « طرابلس » وتوفي بها في رجب . من آثاره :
الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقيقة
الشريعة الحميدية ، الكواكب الدرية في الفنون الادبية .
معجم المؤلفين ٥٨/٤ .

٩١ - النص منقول من مجلة المقتطف . السنة الثامنة .
ص : ٥٨٩ .

٩٢ - الابيات لرجال مصري يعرف بالفشراني ويلقب بأديب
القفة . والككك المذكور في الشعر هو مركب من مراكب
صعيد مصر ليس فيه مسمار . انظر بدائع البداة : ٣٨/١ .

١١٧ - عرف به في الحاشية : (ت ٣٥٤ هـ / ٩٥٦ م) ولد ببغداد . صاحب مروج الذهب ، وكتاب التنبيه .

١١٨ - الادريسي : (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٦ م) من مواليد سبته . تعلم بالأندلس وخدم الملك النرمانى روجار الثانى بصقلية ، صاحب كتاب في الجغرافية « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » المشهور بكتاب روجار . وفي تاريخ وفاته خلاف .

١١٩ - ملك من الفرنج ، صاحب صقلية ، هلك بالخوانيق سنة ٥٤٨ هـ / ١١٤٨ م . تاريخ الأدب الجغرافي ٢٨٢/١ .

١٢٠ - في المخطوط : نزهت .

١٢١ - قفز المصنف الى الصفحة ١٢٦ من اقوم المسالك .

١٢٢ - لم اهتم الى مئناها ، وفي المنجد : الجوب القميص وجمعه اجواب .

١٢٣ - في المخطوط : الشرق .

١٢٤ - عبد الرحمن الأول : « ١١٣ - ١٧٢ هـ / ٧٣١ - ٧٨٨ م » أو الداخلى ، فر من العباسيين وأسس بقرطبة الدولة الأموية « ١٣٨ هـ - ٧٥٦ م » سمي صقر قرش لباسه . عن حاشية اقوم المسالك ص : ١٢٧ .

١٢٥ - في المخطوط : وتسعين .

١٢٦ - عبادة (في العظم) سقطت من المخطوط .

١٢٧ - عبد الرحمن الثالث « ٣٠٠ - ٩١٢/٣٥٠ - ٩٦١ م » أو الناصر ، ثامن أمراء بني أمية بالأندلس وحد صفوف البربر والعرب ، وعاشت الأندلس في عهده عصرها الذهبى . عن اقوم المسالك : ١٢٧ .

ملاحظة : ولد عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م . وولي الخلافة عام ٣٠٠ هـ .

١٢٨ - الكلام لم ينته وانما اكتفى مؤلفنا بما نقله . انظر اقوم المسالك : ١٢٧ وما بعدها .

١٢٩ - Sedillot - ١٨٠٨ - ١٨٨٧ . مؤرخ وكاتب عام للمكولوج دي فرانس ابتداء من ١٨٣٢ ، ثم كاتب عام لدراسة اللغات الشرقية بباريس . صاحب تأليف « تاريخ العرب » ط : باريس ١٨٥٤ . عن اقوم المسالك ١٣٠ .

١٣٠ و ١٣١ - هكذا في اقوم المسالك والمخطوط .

١٠١ - ارسطو طاليس ٣٨٤ - ٣٢٢ ق م وهو أشهر من ان يعرف .

١٠٢ - في المخطوط : لسوء .

١٠٣ - ترجم له في حاشية اقوم المسالك : ١٢٢ ، ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ ١١٢٦ - ١١٩٠ م يلقب بالحفيد لان جده كان قاضيا مفتيا مالكيًا بقرطبة وكذلك ابوه من بعده . كان يلقب ايضا بشارح ارسطو . ولد بقرطبة ومات بمراكش . من أشهر تأليفه : تهافت التهافت يرد فيه على الفزالي .

١٠٤ - في المخطوط : طرف .

١٠٥ - اقليدس : رياضي يوناني في القرن الثالث ق م مشهور بكتابه في الهندسة (الأصول) .

١٠٦ - الزيج : كتاب في الجداول الفلكية .

١٠٧ - بطليموس : فلكي يوناني عاش في القرن الثاني الميلادي وهو صاحب كتاب « المجسطي » .

١٠٨ - النص في اقوم المسالك كما يلي : فوجدوا بين السنة الشمسية والسنة الزمنية عدة دقائق . واخترعوا للتحريرات آلات جديدة . الى غير ذلك مما يدل على ما للعرب من قابلية العلوم الرياضية . ومنهم حازت مدينة سمرقند قبل اوربا بكثير محل رصد عجيب .

١٠٩ - في اقوم المسالك : اهل : ١٢٤ .

١١٠ - الورق . والكاغد : فارسي معرب .

١١١ - جالينوس : ١٣١ - ٢٠١ م اهتم العرب بطبه .

١١٢ - في اقوم المسالك : ١٢٤ : وقت واحد .

١١٣ - جاء في حاشية اقوم المسالك : الراوند نبات عريض الورق يؤكل ، خاصيته الطبية اطلاق البطن وتقوية المعدة .

١١٤ - في المخطوط : بافتراض .

١١٥ - في المخطوط : عندهم .

١١٦ - جاء في حاشية اقوم المسالك : ١٢٥ : ابو الفداء الملك المؤيد اسماعيل بن علي من سلالة صلاح الدين الأيوبي (٦٧٢ - ٧٣٢ هـ / ١٢٧٣ - ١٣٣١ م) شارك في الحروب ضد الصليبيين واصبح ملك حماة . صاحب كتاب في الجغرافية : تقويم البلدان وكتاب في التاريخ مختصر تاريخ البشر .

- ١٣٢ - Cyrus : ملك الفرس ٥٥٨ ق.م ابن قمبيز ، كان مسيطراً على آسيا الغربية - عن أقوم المسالك : ١٣١ .
- ١٣٣ - يبدو أنه يريد نهر « تاجة » الذي ينبع من هضبة اسبانيا ويصب في المحيط الأطلسي ماراً بمجريط وطليطلة وطلبيرة وهو أطول نهر في اسبانيا والبرتغال . طوله ١٠٠٠ كم .
- ١٣٤ - نهر الفانج ينبع من هماليا ويصب في خليج البنغال . طوله : ٣١٠٠ كم .
- ١٣٥ - في المخطوط : الإشارة .
- ١٣٦ - في أقوم المسالك : أبي الفرج وهو الصحيح .
- ١٣٧ - تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي : (٧٦٩ - ٨٤٥ هـ / ١٣٦٧ - ١٤٤١ م) عن معجم المؤلفين ١١/٢ .
- ٣٨١ - عز الدين أبو الحسن علي ، (٥٥٢ - ٦٣٠ هـ / ١١١٠ - ١٢٢٣ م) مواليد الموصل ، حارب الصليبيين في جيش يقوده صلاح الدين الأيوبي . صاحب كتاب الكامل في التاريخ . أقوم المسالك : ١٣٢ .
- ١٣٩ - عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) عرف بمقدمته وتاريخه .
- ١٤٠ - في المخطوط : توشحت .
- ١٤١ - الرقة : قاعدة ديار مصر في الجزيرة على الفرات . أقوم المسالك : ١٣٣ .
- ١٤٢ - في المخطوط : وبدؤا . وكتبت الهمزة مفردة في أقوم المسالك : ١٣٣ .
- ١٤٣ - بداية ص ١٣٤ في أقوم المسالك .
- ١٤٤ - في المخطوط : جات .
- ١٤٥ - بداية ص ١٣٥ في أقوم المسالك .
- ١٤٦ - Alexandre Humboldt « ١٧٦٩ - ١٨٥٩ » رحالة وجغرافي ألماني . عن أقوم المسالك : ١٣٥ .
- ١٤٧ - في المخطوط : تلك الأمم .
- ١٤٨ و ١٤٩ - المنسقر والتربدور : دخیل ألماني وفرنسي . طائفة من الشعراء الفنايين ظهرت في القرون الوسطى بألمانيا وفرنسا . عن أقوم المسالك ١٣٥ .
- ١٥٠ - انظر ص ١٢٧ من أقوم المسالك .
- ١٥١ - في المخطوط : بلنسة .
- ١٥٢ - في حاشية أقوم المسالك ص ١٢٨ : الجوخ : « فارسية ، نسيج من الصوف . وانظر مجلة مجمع اللغة العربية م ٥٠ ج ٤ ص ٧٤٦ .
- ١٥٣ - انظر ص ١٣٥ في أقوم المسالك .
- ١٥٤ - هنا ينتهي النص في أقوم المسالك ١٣٥ .
- ١٥٥ - ذكر صاحب معجم المؤلفين ٩/٣ : أمين بن علي المدني وقال : كان حياً ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٧ م مؤرخ ، أديب . قلت : والرسالة المذكورة نشرت في المجلد الثامن من المقتطف سنة ١٨٨٣ فمن المقول أن يكون صاحب الرسالة هو نفسه المذكور في معجم المؤلفين .
- ١٥٦ - المقتطف ٢١٩/٨ .
- ١٥٧ - ارنست رينان : ١٨٢٣ - ١٨٩٢ مؤرخ وناقد ومستشرق فرنسي ألف رسالة عن ابن رشد والرشدية .
- ١٥٨ - في المقتطف : علم العرب وفضلهم .
- ١٥٩ - في المخطوط : خرقة . والتصحيح من المقتطف .
- ١٦٠ - في المخطوط : مائر .
- ١٦١ - المقتطف ٢٨٩/٨ .
- ١٦٢ - في المخطوط : او غيره .
- ١٦٣ - نسبة الى الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ٨٠ - ١٥٠ هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧ م .
- ١٦٤ - أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي المشهور بالقُدوري نسبة الى بيع القُدور (٣٦٢ - ٤٨٢ هـ / ٩٧٣ - ١٠٣٧ م) فقيه حنفي ، انتهت اليه رئاسة اصحاب أبي حنيفة بالعراق . وتوفي ببغداد في رجب . معجم المؤلفين ٦٦/٢ .
- ١٦٥ - لم أهتم الى مؤلف بهذا اللقب . والأرجح أنه يريد فتاوي الآنفروي من فقهاء الأتراك .
- ١٦٦ - نسبة الى الامام محمد بن ادريس الشافعي ١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨١٩ م .
- ١٦٧ - في المقتطف : فطبعوا من كتبه .

١٧٠ - البخاري : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ، الجعفي (أبو عبد الله) محدث حافظ ، فقيه ، مؤرخ ، مشارك في علوم . (١٩٤-٢٥٦ هـ ٨١٠-٨٧٠ م) / واهم كتبه : الجامع الصحيح . معجم المؤلفين ٥٢/٩ .

١٧١ - البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) عبد الله ابن عمر بن محمد علي البيضاوي ، الشيرازي ، الشافعي ، (ناصر الدين ، أبو سعيد) قاض ، عالم بالفقه والتفسير والعربية والمنطق والحديث . توفي بتبريز . معجم المؤلفين ٩٧/٦ .

وتفسيره المشار اليه اسمه : أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير وقد طبع عدة مرات .

١٧٢ - في المقتطف : كتب الشريعة .

١٧٣ - المقتطف : وترى بعضهم مجدا .

١٧٤ - كلمة « منها » ليست في المقتطف .

١٧٥ - في المقتطف : وأخشي .

١٧٦ - في المقتطف : ثم يفوضون .

١٧٧ - في المقتطف : خصوصا وملوكهم .

١٦٨ - أبو اسحاق الشيرازي : ابراهيم بن علي بن يوسف ابن عبدالله : ٣٩٣ - ٤٧٦ هـ / ١٠٠٣ - ١٠٨٣ م : فقيه شافعي ، اصولي ، مؤرخ ، اديب . ملقب بجمال الدين .

له كتاب التنبيه ، والمهذب « في الفقه » . الف في الأصول كتاب « اللع » وهذه الكتب كلها مطبوعة . الفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢٥٥/١ .

١٦٩ - امام الحرمين ٤١٩ - ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين الملقب بامام الحرمين : أعلم المتأخرين ، من أصحاب الشافعي . ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل الى بغداد ، فمكة حيث جاور أربع سنين ، وذهب الى المدينة فافتى ودرس ، جامعا طرق المذاهب ، ثم عاد الى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك « المدرسة النظامية » فيها . عن الاعلام ٣٠٦/٤ . وكتاب « الورقات » في أصول الفقه . معجم المؤلفين ١٨٤/٦ .

مراجع التحقيق

- ١ - أسنى المطالب في احاديث مختلفة المراتب للشيخ محمد بن السيد درويش الشهير بالحوت . بيروت سنة ١٣١٩ .
- ٢ - الاعلام : خير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة .
- ٣ - اقوم المسالك في معرفة احوال المالिक : خير الدين باشا اتونسي . بتحقيق المنصف الشنوني - الدار التونسية للطباعة والنشر .
- ٤ - بدائع البدانة : علي بن ظافر الأزدي . بهامش معاهد التنصيص . المطبعة المصرية البهية ١٣٠٤ .
- ٥ - بدائع الزهور : محمد بن أحمد بن إياس . طبع مصر بالتزام سعيد علي الخوصي .
- ٦ - تاريخ الأدب الجغرافي : كراتشكوفسكي . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . مصر : جامعة الدول العربية .
- ٧ - تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده : الشيخ محمد رشيد رضا . مصر : مطبعة المنار - ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م .
- ٨ - تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرتي . المطبعة العامرة الشرفية ١٣٣٢ هـ .
- ٩ - تفسير الرازي : فخر الدين الرازي . المطبعة البهية بمصر .
- ١٠ - تهافت الفلاسفة : أبو حامد الغزالي . تحقيق د. سليمان دنيا . دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة .
- ١١ - حلية البشر : الشيخ عبد الرزاق البيطار ، تحقيق العلامة محمد بهجة البيطار . مجمع اللغة العربية بدمشق .

- ١٢ - روح المعاني : السيد محمد الألوسي البغدادي • طبعة مصورة عن مطبعته الأصلية الثانية •
- ١٣ - السكك الحديدية : المهندس عبد النافع شاهين • الأماطي الجامعية بجامعة دمشق •
- ١٤ - سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي • أشرف على طبعه : عزت عبيد الدعاس • حمص ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م •
- ١٥ - صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل البخاري أبو عبدالله • المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦ هـ •
- ١٦ - العهد القديم : المطبعة الأميركانية في بيروت سنة ١٩٠٩ •
- ١٧ - الفتح المبين في طبقات الأصوليين : عبدالله مصطفى المراغي • بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م •
- ١٨ - اللاميتان : للشنفرى والطفراني • أعدهما وعلق عليهما الأستاذ عبدالمعين الملوحي • وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٦ •
- ١٩ - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق •
- ٢٠ - مجلة المقتطف : يعقوب صروب وفارس نمر - المجلد الثامن ١٨٨٣ •
- ٢١ - المرجع : عبدالله اللايلي • بيروت ١٩٦٣ المجلد الأول •
- ٢٢ - المعارف : ابن قتيبة • تحقيق الدكتور ثروت عكاشة • طبع دار الكتب المصرية ١٩٦٠ •
- ٢٣ - المعتمد في أصول الفقه : أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي بتحقيق محمد حميد الله بتعاون مع محمد بكر وحسن حنفي • نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٦٤ •
- ٢٤ - معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة • مطبعة الترقى بدمشق : ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م •
- ٢٥ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي • نشره الدكتور أ.ي. ونسبك • لندن ١٩٣٦ طبعة مصورة عن الأصل •
- ٢٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي • طبع كتاب الشعب بمصر •
- ٢٧ - معجم مقاييس اللغة : ابن فارس • بتحقيق عبد السلام هارون • مصر ١٣٦٦ هـ •
- ٢٧ - العرب : الجواليقي • بتحقيق أحمد محمد شاكر • وزارة الثقافة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م •
- ٢٩ - مقامات الحريري : أبو محمد القاسم بن علي • طبعة بولاق ١٣٠٠ هـ •
- ٣٠ - المنجد : المطبعة الكاثوليكية - بيروت • الطبعة (١٧) •
- ٣١ - النجوم الزاهرة : ابن تفرى بردي • طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية •

عبدالله نبهان

★ ★ ★